

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la recherche scientifique

Université 8 Mai 1945 Guelma

Faculté des Lettres et des Langues

Département Langue et littérature Arabe



جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

وروس

في اللسانيات الاجتماعية

- موجهة إلى طلبة السنة أولى ماستر -

(تخصص: لسانيات تطبيقية)

إعداد

. د إبراهيم براهيم

السنة الجامعية: 2021 - 2022

دروس

في اللسانيات الاجتماعية

- موجهة إلى طلبة السنة أولى ماستر -

(تخصص: لسانيات تطبيقية)

إعداد:

. د إبراهيم براهيم

السنة الجامعية: 2021 - 2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُكَلِّمًا

اهتمت الدراسات اللغوية منذ القديم بالبحث في علاقة اللغة بالمجتمع؛ وحاولت الإحاطة بجوانبها المختلفة؛ من خلال ما قدمه الدارسون قديما وحديثا من أبحاث لغوية متنوعة؛ فيما شملت النظر الواسع في علاقة البنية اللغوية بالبنية المجتمعية التي تستعملها، والنظر في نسيج العلاقات اللغوية السياقية وتحليلها، فبينت التنوع اللغوي، وطرائق نسجه، بتنوع المجتمعات الإنسانية الناطقة به، فرسمت معالم التعدد بين المجتمعات بتعدد اللغات، وبينت طبيعة اللغات وتكوينها فيما لا يجوز التكلم به عند هذه الجماعة اللغوية، وما يحسن السكوت عليه عند هؤلاء القوم، وما يحدث بين اللغات من تفاعل ايجابي أو سلبي، من إصااق، أو تناوب، أو صراع، وما يعترى اللغات من موت أو انقراض وما سوى ذلك من قضايا ظل كثير منها محل نقاش دائم بين الدارسين إلى يومنا

ولا يخفى على المتأمل في ذلك كله إدراك حقيقة ما لهذا هذا الجوانب من الدرس اللساني من أهمية في الكشف عن الصورة الحقيقية الفعلية للغات ووظائفها الاجتماعية في عمليات التخاطب والتواصل؛ الوظيفة الأولى لكل لغات الإنسانية، وقد تلمسنا في التراث اللغوي العربي رؤى لغوية ذات منطلقات اجتماعية في التحليل اللغوي في مختلف مستوياته اللسانية ومجالاته الدراسية صوتا وتركيبا ومعجما ودلالة؛ فللتحليل النحوي لتراكيب اللغة العربية مثلا كان عند علماء العربية يرتكز بالأساس على ربط التركيب اللغوي بسياقه الاجتماعي ومكوناته؛ كأحوال المتخاطبين (المتكلم والمخاطب)، وزمن التخاطب، ومقاصد الخطاب وهو ما يعد رؤية لسانية اجتماعية جامعة لسلامة التركيب اللغوي وصوابه في منظورنا اللساني المعاصر.

وقد رأينا في الدرس اللساني المعاصر مبلغ الارتقاء الذي بلغته اللسانيات التطبيقية وحقولها المعرفية المتنوعة؛ ومن ذلك اللسانيات الاجتماعية التي تعكف على دراسة اللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية وقد بدأ هذا الحقل اللساني يشق طريقه في البحث الميداني منذ منتصف القرن الماضي؛ مع ما حققه من ملامسة قضايا الواقع اللغوي للمجتمعات الإنسانية المعاصرة وقد أمست اللسانيات الاجتماعية في عالمنا العربي تمارس استقطابا من قبل الباحثين مشرقا ومغربا؛ لما بدا من استجابتها لحاجاته الراهنة في قضايا التواصل والتفاعل اللغوي الاجتماعي اليومي

وهذه الدروس التي أقدمها اليوم تعود أصولها - في مجملها - إلى ما قدمتها خلال السنوات الخمس الماضية أثناء إشرافي على تدريس مقياس اللسانيات الاجتماعية لطلبة السنة الأولى ماستر في

تخصص اللسانيات التطبيقية في قسم اللغة والأدب العربي وقد أتاح لي ذلك فرصة الاهتمام بهذا الحقل اللساني عن قرب، ومحاولة الإلمام بموضوعاته، وجهازها المفاهيمي، والتعرف إلى بعض قضاياها المهمة وأسسها المعرفية

ولم أجد من التأليف في موضوعات هذا الحقل اللساني مما يتلقاه طلبتنا اليوم في حجرات الدرس إلا بحوثا قليلة؛ إذا استثنينا عددا من الكتب الأكاديمية الرصينة التي ظهرت بالأخص في السنوات الأخيرة، وهذا ما شجعني على جمع هذه الدروس في صورة مطبوعة بيداغوجية جامعة حتى يتسنى للطلبة الاستفادة منها، وما تجب الإشارة إليه لزاما؛ اعتمادي وفي كثير من الأحيان على الأبحاث والدراسات العمدة التي ألفت في هذا المجال؛ لا سيما المؤلفات اللسانية التمهيدية العربية، وبعض من الدراسات المتخصصة في هذا الحقل، أو ما ترجم من الدراسات الأجنبية إلى اللغة العربية.

وقد عالجت هذه الدروس عددا من القضايا العلمية التي تحمل مقاصد تعليمية بالدرجة الأولى؛ بما يتطلبه ذلك من الاتصاف بالتيشير في توضيح المعلومة، والتسهيل في وصفها وتوضيحها؛ لذلك فقد حاولت الإلمام بجوانب تاريخية للسانيات الاجتماعية، وربطها بالتراث اللغوي العربي، والتبسيط لمفاهيمها، وتقريبها من المتلقين ما تيسر السبيل إلى ذلك، وأما محاور هذه الدروس فهي مطابقة ومستمدة من مفردات مقياس "اللسانيات الاجتماعية" الموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر في تخصص "اللسانيات التطبيقية"؛ وهي كما يأتي:

- اللسانيات الاجتماعية المفاهيم والمصطلحات

- التقاطع المعرفي بين اللسانيات وعلم الاجتماع

- اللسانيات الاجتماعية وعلم الإناسة اللغوي

- اللغة والطبعية الاجتماعية

- التابوهات (المحرمات) اللغوية

- اللغة والجنس

- التناوب اللغوي

- الازدواجية والتعددية اللغوية

- العوامل الاجتماعية في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية.

- علم اللهجات

- اللسانيات الجغرافية

- الانقراض اللغوي والصراع اللغوي

- موضوعات اللسانيات الاجتماعية في التراث العربي

في الأخير لا يسعني إلا أن أحمده الله العلي القدير الذي وفقني إلى إتمام هذا العمل، وهو القادر فوق عباده الذي لا حول ولا قوة إلا به كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى طلبتي المجتهدين؛ من شنفت آذانهم بهذه الدروس، وكانت قلوبهم طيبة وعقولهم غير عصبية في تلقيها، وأني لأمل أن أكون قد وفقت في ما رمته من إفادتهم، في تحقيق مرجع يغنيهم.

والله المستعان.

. د إبراهيم براهيم

الدرس الأول

اللسانيات الاجتماعية

المفهوم والاصطلاح والنشأة والتطور

أولا مفهوم اللسانيات الاجتماعية

ثانيا موضوع اللسانيات الاجتماعية

ثالثا تاريخ اللسانيات الاجتماعية

رابعا. أعلام اللسانيات الاجتماعية

أولا مفهوم اللسانيات الاجتماعية

اللسانيات الاجتماعية أحد الفروع المعاصرة للسانيات التطبيقية؛ ويقابلها الاصطلاح الأجنبي (la sociolinguistique)، وقد أطلق على هذا العلم عدة ألفاظ اصطلاحية في اللغة العربية من نحو؛ اللغويات الاجتماعية، علم الاجتماع اللغوي، علم اللغة الاجتماعي، السوسيو لسانيات، اللسانة الاجتماعية... (*) . وهذه الألفاظ الاصطلاحية في مجموعها متمكنة في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة مشرقا ومغربا تشير في دلالتها المباشرة إلى حقل تطبيقي معاصر في اللسانيات؛ يلقي اليوم إقبالا واسعا من الدارسين إذ (يعد علم اللغة الاجتماعي بحق واحدا من أهم مجالات النمو والتطور في الدراسات اللغوية من منظوري المناهج الدراسية ومجالات البحث) ⁽¹⁾، هذا العلم الذي يكشف في تركيبه اللغوي عن الجمع بين جانبيين بارزين هما اللغة والمجتمع؛ وهو ما تكاد تجمع عليه أغلب التحديدات الاصطلاحية لهذا العلم؛ ومن ذلك:

- فقد عرفها جون ديوبوا " Jean Dubois " بكونها فرعا من اللسانيات. يعني بدراسة التنوع المشترك بين الظواهر اللسانية والمجتمعية، ورصد العلاقات الموجودة بين هذه الظواهر بتحديد السبب والنتيجة ويعني هذا ضرورة البحث عن أسباب التغير يهيرات التي تحدث على المستوى اللساني، وربطها بمسبباتها الاجتماعية أو سياقها التلفظي والتواصلية ⁽²⁾.

- وعرفها اللساني جوشوا فيشمان " Joshua Fishman " (ت2015) بأنه علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك؛ فيعنى بالمتكلم واللغة التي يستعملها، والمخاطب، وزمن التكلم، وما ينتهي إليه الكلام ⁽³⁾.

* - لا تختلف اللسانيات الاجتماعية عن فروع الدرس اللساني الأخرى من مظاهر التأزم المصطلحي اللساني وتعدده في العالم العربي؛ إذ يغلب على الدراسات المشرقية استعمال مصطلحات؛ اللغويات الاجتماعية، علم اللغة الاجتماعي، وعلم الاجتماع اللغوي، وفي الشام ولبنان نجد مصطلح اللسانة الاجتماعية؛ ويشيع عند المغاربة؛ مصطلحا اللسانيات الاجتماعية و السوسيو لسانيات للتوسع ينظر: جون سوانن آنا ديوميرت، تيريزا ليليس، راجند مسرثي، معجم اللغويات الاجتماعية، تر فواز العبد الحق ، عبد الرحمن أبو ملحم مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، ط01، 2019، الرياض، السعودية، ص12

⁽¹⁾ - د. هدايون علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط01، 1990، بيروت، لبنان، ص12.
⁽²⁾ - La sociolinguistique est une partie de la linguistique..... La sociolinguistique se fixe comme tâche de faire apparaître dans la mesure du possible la covariance des phénomènes linguistiques et sociaux et, éventuellement, p'établir une relation de cause à effet. Jean Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, 1991, p444.

⁽³⁾ - Joshua Fishman : The sociology of language, IN. Société ROWLEY. NEW buy House. 1972, p45,46.

- وعرفها اللساني الانجليزي جون لاينز (John Lyons) بقوله هي دراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع"⁽¹⁾.

-ولا يبتعد عنه د هرسون في تعريفه للسانيات الاجتماعية عن هذا المعطى فقد عرفها بقوله من الممكن تعريف علم اللغة الاجتماعي على أنه دراسة اللغة في علاقاتها بالمجتمع(2).
إن الذي يستخلص من هذه التحديدات الاصطلاحية أن اللسانيات الاجتماعية هي أحد الفروع المعاصرة البارزة للسانيات التطبيقية التي تركز على الوظيفة الاجتماعية للغة أي تدرس مختلف التبدلات الاجتماعية للغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين، من حيث السن، والجنس، والفئة الاجتماعية، والوسط، والمستوى المهني، والمستوى التعليمي؛ وتحليل العلاقة القائمة بين اللغة والممارسات الاجتماعية (العائلية، والدراسية، والوظيفية .) ثم تفسير الوظيفة الاجتماعية للغة، والاهتمام بقضايا لغوية واجتماعية كبرى تتعلق باللغة الأم، وموت اللغات، وعلاقة اللغة باللهجة والفصيلة، والثنائية والتعددية اللغوية، والأنظمة اللغوية المركبة والمعقدة، وتدبير التعدد اللغوي، والسياسات اللغوية، والتخطيط اللغوي.⁽³⁾.

ثانيا موضوع اللسانيات الاجتماعية

تدرس اللسانيات الاجتماعية مجموعة من الموضوعات لها علاقة بما هو لساني، وما هو مجتمعي في الوقت نفسه؛ ويجب أن نفرق بداية بين نوعين من الموضوعات التي تعد مجالا خصبا للبحث والدراسة في اللسانيات الاجتماعية ألا وهما⁽⁴⁾:

1. قضايا اللسانيات الاجتماعية الكبرى (macrosociolinguistics)؛ بالنسبة لهذا الجانب فإنه يدرس قضايا ترتبط بمستوى أعلى في النظر والتحليل والتخطيط والتقارير؛ في هذا المجال يمكن أن نتحدث مثلا؛ عن السياسة اللغوية للدولة، التخطيط اللغوي لدولة من الدول التخطيط اللغوي التربوي، التنضيد اللغوي، علاقة اللغة الأم باللغات الأجنبية والملاحظ بالنسبة لهذا المجال أنه يخص الدول في تدبيرها للشأن اللغوي العام؛ ولذلك فهي موضوعات يلتقي فيها اللساني مع السياسي، عالم الاجتماع، وعالم التربية وغيرهم

(1) - Lyons: Language and linguistics: An Introduction. Cambridge: Cambridge University Press 1981, p: 267.

2- د هرسون علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص11.

3- ينظر عبد الكريم بوفرة ، علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي 2011- 2012م، ص:11.

4- ينظر فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، تر خالد الأشهب، ماجدولين النهيي، المنظمة العربية للترجمة ، ط4، 2009، 01، بيروت، لبنان، ص14.

2. قضايا اللسانيات الاجتماعية الصغرى (microsociolinguistics) بالنسبة لهذا الجانب فإنه يدرس قضايا ترتبط بمستوى أدنى من الأولى؛ من نحو علاقة اللغة المعيار باللهجة، التبدلات اللغوية في لغة من اللغات، اللغة والممارسات الاجتماعية، واللغة في الوسط المهني، وخصائص المحادثات الاجتماعية والملاحظ بالنسبة لهذا المجال أنه يخص المتخصصين في اللسانيات الاجتماعية ورؤيتهم في تدبير الشأن اللغوي؛ ولذلك فهي موضوعات تتصف بالدقة العلمية لا يتفاعل فيها بشكل كبير اللساني مع السياسي، أو عالم الاجتماع، أو عالم التربية أو غيرهم وتهتم اللسانيات الاجتماعية إلى جانب ذلك -وبناء على هذا التصور- برصد أبعاد العلاقة وأشكالها المختلفة التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد، أو تعدد اللغات واللهجات أيضا، وتهتم برصد هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات، وتحديد الجماعات التي تستخدمها سواء أكانت هذه الجماعات عرقية، أم دينية، أم مهنية، أم طبقية، كما تهتم في هذا الإطار بالتخطيط اللغوي Language planning⁽¹⁾.

إن دراسة العلاقة بين المجتمع واللغة؛ وبين الاستعمالات المتنوعة للغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها مستعملو هذه اللغة ومن ثمة؛ فإنه المجال الدراسي الذي يعترف بأن المجتمع يتكون من عدة أنماط وسلوكيات متداخلة فيما بينها ومنها ما هو لغوي. ويتمثل أحد أبرز هذه الاستعمالات اللغوية المتنوعة في تبليغ المعنى بالإضافة إلى توطيد العلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها؛ ومن أمثلة تلك العلاقات علاقة الأم بابنها الصغير، بحيث نجد أن معظم كلامهم يكرس لتنشئة وتربية الرابطة الاجتماعية فيما بينهما و المثال الثاني عندما تستمع لصديقين يتحدثان، تجد أن أغلبية حديثهما تصب في التعبير عن صداقتهما وفي توطيد تلك الصداقة المتبادلة 'وأخيرا' عندما تصادف أجنب فان طريقة كلامهم تنبئك بموقعهم الجغرافي و بمستواهم الاجتماعي وقد تبعث كذلك طريقة كلامك معهم بإشارات ذكية وعجيبة تساعدهم على فهم ما يدور في مخيلتك عنهم⁽²⁾.

وإلى جانب ذلك تهتم اللسانيات الاجتماعية أيضا بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما يرصد التحول، أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى وأثر ذلك على الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة،

(1) - سامي عياد حنا كريم زكي حسام الدين نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة انجليزي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 1997، بيروت، لبنان، صص 131، 132..

(2) - برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: عبد القادر ستقادي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 2010، الجزائر، ص22

كما يضع علم اللسانيات الاجتماعية في الاعتبار عند دراسة معاني الكلمات؛ تحديد دلالتها من خلال سياقها الاجتماعي ومواقف قائلها ومكانتهم في الطبقات الاجتماعية.

كما نجد اللسانيات الاجتماعية تهتم أيضا بدراسة محظور الكلام أو الكلمات المحظورة Tabooed words لأن هذه الظاهرة اللغوية التي ترتبط بالمجتمع، أو الجماعة اللغوية ارتباطا وثيقا؛ كما أن استعمال اللغة يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، وهذه القواعد أو الاعتبارات الاجتماعية هي التي تقبل أو ترفض استعمال كلمات معينة في اللغة⁽¹⁾.

وقد حدد فلوريان كولاس في موسوعته "دليل السوسيو لسانيات بالتفصيل مجالات علم اللغة الاجتماعي؛ ومما اشتمل عليه: ديمقراطية اللغة، والأنواع اللغوية، والتنوع اللغوي، والتحول اللغوي في تقدم: التغيير كما يقع. والعوامل الاجتماعية في التغيير اللغوي Language Change، والسوسيو صوات /علم الصوتيات الاجتماعي Sociophonetics، واللهجة Dialect في المجتمع، والنوع الاجتماعي Gender بوصفه متغيرا سوسيو لسانيا، آفاق جديدة في دراسة التنوع، والعمر Age كمتغير سوسيو لسانيا، واللغة والمنطوقة والمكتوبة، وسوسيو لسانيات وسائل الإعلام التواصلية، والازدواجية اللغوية Diglossis بوصفها حالة سوسيو لسانية، والتغير الشفوي، واتصال اللغة Contact Language وتوليدها، " Pidgins & creoles"، واتصال اللغات وانحطاطها، والصراع اللغوي، والتعددية اللغوية Polyglossia، واللغة والهوية Language and identity، واللغة الإثنية Ethnic Language: الرؤية من الداخل، وسوسيو لسانيات النطاق الشامل، واللغة وتوسط التجربة: التمثيل اللغوي والتكيف المعرفي، وآداب السلوك اللساني، والسوسيو لسانيات والتربية، والسوسيو لسانيات والقانون، والتخطيط اللغوي والإصلاح اللغوي Language Maintenance⁽²⁾.

ثالثا تاريخ اللسانيات الاجتماعية

تعود الجذور الأولى لهذا الفرع من اللسانيات إلى بداية القرن الماضي مع نضال اللساني . أ ميبي A . Meillet (1886-1936) من أجل تصور اجتماعي للغة؛ مخالفا كثيرا من آراء أستاذة فرديناند دي سوسير (1857 - 1913) -الذي ركز على جانب بنية اللغة وفصل اللغة عن الجانب الخارجي لها-؛ فاللساني ميبي؛ نجده قد تحدث عن الطابع الاجتماعي للغة، أو بالأحرى حينما حددها بوصفها؛ ظاهرة

(1) - ينظر سامي عياد حنا كريم زكي حسام الدين نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة انجليزي

عربي، مرجع سابق، ص 132.

(2) - ينظر فلوريان كولاس، دليل السوسيو لسانيات، تر خالد الأشهب، ماجدولين النهيبي، مرجع سابق، ص14.

اجتماعية، وهكذا اقترح في مقاله المشهور "كيف تتغير معاني الكلمات؟" تحديدا لهذه الظاهرة الاجتماعية وذلك في عبارات صريحة من نحو؛ إن حدود اللغات تميل إلى الاقتران بحدود الزمر الاجتماعية "grôupes sociaux" التي تدعى بالأمم (□).

وقد بدأت المعالم الفعلية لهذا العلم في سنة (1952م) حينما نشر (افرس. كوري -) مقالا كتبت صيغته الأولى عام (1949) تحت عنوان : إسقاط السوسيو لسانيات، علاقة الكلام بالوضع الاجتماعي، لكن تأسيسه كمصطلح مستقل تطلب عقدا من الزمن حين عقدت ندوات السوسيو لسانيات في أوائل الستينات من القرن الماضي، ظهرت حينها انطولوجيات المقالات التي تناولت خصائص اللغة، ونادت بإدخال العوامل الاجتماعية في تحليلها، ونشرت في غضون ذلك مئات البحوث حول التنظيم الاجتماعي للسلوك اللغوي، وأصبحت (السوسيو لسانيات) فرعا مهما، معترفا به من العلوم اللغوية الاجتماعية، فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها في المجتمع؛ لأنه ينظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها، وليس المقصود بهذا العلم أنه تركيبة أو توليفة من علمي اللغة والاجتماع أو أنه مزج لهما أو تجمع لقضاياهم ومسائلهما؛ وإنما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدتها، ولذا يمكن تعريفه بالعلم الذي يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني أي استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك ويركز في موضوعات ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة، وسلوكيات مستعملها⁽²⁾.

ومن المحاولات البارزة لتوحيد للجهود في البحث اللساني الاجتماعي انعقاد المؤتمر الدولي حول اللسانيات الاجتماعية من 11 إلى 14 ماي 1964 في مدينة لوس أنجلوس الأمريكية بحضور أكثر من 25 عالما لسانيا؛ أما الموضوعات المطروحة فكانت متنوعة؛ ومن أهمها: انطولوجيا التغيير اللساني (قمبرز)، التخطيط اللغوي (أوجن)، التصحيح المفرط كعنصر من عناصر التغيير اللغوي (لابوف)، تعادلية الأوضاع السوسيو لسانية للدول (فيرغسون) (□).

ويشير اللساني الاجتماعي الانجليزي هدسون إلى السبق الذي حققه علم اللغة الاجتماعي في بريطانيا وأمريكا بما تحقق له في مجال البحث العلمي؛ إلى أن هناك الآن دوريتان في الانكليزية متخصصتان في نشر الأبحاث والدراسات الخاصة بعلم اللغة الاجتماعي. (وهاتان الدوريتان هما: اللغة

(¹) - ينظر لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر محمد يحياتن، دار القصة للنشر والتوزيع، ط 01، 2006، الجزائر، ص11.

(²) - ينظر: نعمة دهش فرحاني، مقاربات سوسيو لسانية، الدار المنهجية، ط01، 2016، عمان، الأردن، ص24

(³) - ينظر لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، مرجع سابق، ص22

في المجتمع Language in society والدورية العلمية لعلم اجتماع اللغة International journal of the (sociology of Language). وهناك أيضا عدد كبير من الكتب الجامعية التمهيدية في هذا المجال؛ ونذكر منها على سبيل المثال: برلينج 1970، وبرايدي 1971، وفيشمان 1972، وروبينسون 1972، وتردجيل 1974، وبلات وبلات 1975، وبييل 1976، وبييل 1976، وديتمار 1976، ووارد هو 1976. على أن القدر الأكبر من ذلك النمو في مجال علم اللغة الاجتماعي قد حدث في نهاية الستينيات وبداية السبعينات ولذلك يمكننا أن ندرك أنه مازال مجالاً حديث العهد للبحث. ليس معنى ذلك أن دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع من ابتكار فترة الستينيات فعلى عكس ذلك هناك تراث قديم العهد في دراسة اللهجات، وفي الدراسات التي تتناول العلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة، وكلاهما يقع في إطار تعريفنا لعلم اللغة الاجتماعي؛ أما الجديد الذي استحدث في الستينات فهو الاهتمام الواسع والإدراك بأن علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف الكثير مما كان غامضاً من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع⁽¹⁾. وخلال فترة الخمسين سنة الماضية أو ما يقاربها أصبح علم الاجتماع اللغوي جزءاً معترفاً به في مجال الدراسة العلمية للغة حتى تطور ضمن أحد أهم الفروع اللسانية ذات الصلة. فلقد أسهم هذا الاختصاص جلياً في التمييز بين اللسانيات التاريخية، واللسانيات الوصفية (علم الأصوات Phonologie، علم الصرف morphology، علم التراكييب syntaxe) من جهة، وبين الفروع اللسانية الأخرى مثل علم النفس اللغوي psycholinguistics واللسانيات التطبيقية applied linguistics واللسانيات العصبية neurolinguistics وعلم الاجتماع اللغوي من جهة أخرى⁽²⁾.

رابعا أعلام اللسانيات الاجتماعية

يعد أ. ميبيي A. Meillet (1886-1936) من أوائل الداعين إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وعدم فصل اللغة عن بعدها الاجتماعي، معارضا بذلك جانبا من آراء أستاذه دي سوسير؛ إلا أن التأسيس الفعلي للسانيات الاجتماعية؛ كما يرى كثير من الدارسين يعود للساني الأمريكي "ويليام لايوف" William Labov (*) الذي يعد المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع اللغوي المعاصر "la sociolinguistique" بكتابه الذي نشره سنة 1966م تحت عنوان: "التضيد الاجتماعي للإنجليزية في

(1) - ينظر: د هدرسون، علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص 13

(2) - ينظر: برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، مرجع سابق، ص 22

(*) - ويليام لايوف من مواليد 4 ديسمبر 1927 لغوي أمريكي، أستاذ في جامعة بنسلفانيا، ويعد مؤسس علم اللغة الاجتماعي، وله أبحاث عديدة في علم اللهجات، وهو صاحب كتاب: التراتبية الاجتماعية في إنكليزية مدينة نيويورك.

نيويورك (□). ومن أبرز الباحثين العالميين الذين اهتموا باللسانيات الاجتماعية؛ وقدموا إسهامات علمية متميزة نذكر

- ديليه ايمز "Delly Hymes" (1927 - 2009) المعروف بأبحاثه المميزة عن "الكفاءة التواصلية
- جون قمبرز " John. GUMPERZ" (ت2013) من مؤلفاته المهمة؛ كتاب: استراتيجيات الخطاب، وكتابه؛ إطلاق الحوار- في تحليل المحادثة الاجتماعية
- بازيل بيرنشتاين Basil Bernstein؛ لغوي واجتماعي بريطاني من مواليد نوفمبر 1924، توفي بلندن تاريخ: 24 سبتمبر 2000م؛ معروف بعمله في مجال علم الاجتماع التربوي. اشتغل في مجال اللسانيات الاجتماعية، وأولى اهتماما بمسألة اللغة في علاقتها بالطبقات الاجتماعية (□).
- فيليب بلانشيه Philippe Blanchet؛ لساني اجتماعي فرنسي من مواليد 1961 بمرسيليا؛ من كتبه المترجمة إلى العربية كتاب: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة (3).
- اللساني الفرنسي " لويس جان كالفي Louis-Jean Calvet" من مواليد 5 يونيو 1942، بنزرت؛ وهو أستاذ اللسانيات الاجتماعية جامعة " بروفانس" الفرنسية؛ صاحب المؤلفات الكثيرة في اللسانيات الاجتماعية.
- شارل فيرغسون "Ferguson Charles A" (6 يوليو 1921 - 2 سبتمبر 1998)، وهو لساني أمريكي درّس في جامعة ستانفورد، ويعد من مؤسسي اللسانيات الاجتماعية، معروف بأعماله حول الازدواجية اللغوية.

(¹) - William Labov: *The Social Stratification of English in New York City Department Stores*, Washington, D.C., Center for Applied Linguistics, 1966, p 485

(²) - Bernstein Basil, 1971, *Class, Codes and Control*, Londres, Routledge & Kegan Paul (trad. fr : *Langage et classes sociales. Codes sociolinguistiques et contrôle social*, Paris, Éditions de Minuit, 1975)

(□) - ينظر: فيليب بلانشيه التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار، ط01، 2007، اللاذقية، سوريا ومن كتبه المميزة في مساره العلمي في اللسانيات الاجتماعية كتاب:

- Philippe Blanchet :*Le provençal, essai de description sociolinguistique et différentielle*, Institut de Linguistique de Louvain, Louvain, Peeters, 1992.

الدرس الثاني

التقاطع المعرفي

بين اللسانيات الاجتماعية وعلم الاجتماع

والعلوم المجاورة

أولا التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية وعلم الاجتماع

ثانيا. التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية والتداولية

ثالثا: اللسانيات الاجتماعية والتعليمية

رابعا. التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية وعلم اللهجات

أولا التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية وعلم الاجتماع

يشير التداخل بين الاصطلاحين علم اللغة الاجتماعي "sociolinguistics" و "علم الاجتماع اللغوي" la soeiology of language "مسألة انفتاح النسق اللساني على المعارف الأخرى، وطبيعة العلاقة التي تربط اللسانيات بالمعارف الإنسانية الأخرى، وتشكل هذه المسألة في الدرس اللساني الاجتماعي قضية جوهرية في أغلب المؤلفات التي ظهرت خلال العقود الأخيرة؛ ذلك أنها تؤشر على موضوع العلم وحدوده المعرفية ومجالاته وقد رأينا بعض الدارسين العرب المعاصرين لم يتردد في التعبير عن اللسانيات الاجتماعية باستخدام مصطلحي

1. علم اللغة الاجتماعي "sociolinguistics"

2. علم الاجتماع اللغوي "soeiology of language" (*)

بصورة متماثلة ودون تفريق بينهما وكأنهما علم واحد؛ فقد ترجمه فريق من الباحثين بـ "علم الاجتماع اللغوي"، وذهب فريق آخر إلى ترجمته بالمصطلح الأول "علم اللغة الاجتماعي"، ومنهم محمد علي الخولي في معجمه، وكذلك فعل أصحاب معجم علم اللغة الحديث⁽¹⁾، في حين ذهب فريق ثالث إلى ترادف علم اللغة الاجتماعي مع ما يسمى بـ (علم الاجتماع اللغوي)، وزعموا أنه مهما كانت التسمية فموضوعها دراسة المجتمع في علاقته باللغة؛ كي يدرك دارسو المجتمع الحقائق اللغوية، التي من الممكن أن تزيد من فهمهم للمجتمع⁽²⁾.

(*) - التفريق يمكن التحقق منه أيضا من عناصر بنية مصطلح sociology of language هي: socio+ logy+ of+ language، واللاحقة (-logy) قد أكسبت مفهوم (socio) صفة العلميّة، أي: الدراسة العلميّة التي تقوم على النظر إلى قضايا اللغة في المجتمع، وذلك من خلال المعطيات المعرفيّة والعلمية المتوفرة في علم الاجتماع، أو في الحقل العلمي التي يستعين بها. أما العنصر language فهو مضاف إلى العنصرين المذكورين المفضول بينهما بـ (of). ويُفيد هذا التركيب الإضافي بأن اللغة قد صارت إحدى القضايا التي يهتم بها علم الاجتماع. أما عناصر المصطلح الأول فهي: socio+ linguist+ ics، واللاحقة ics قد أكسبت العناصر lingo+ ist+ ic صفة العلميّة، أي: أن الدراسة العلمية تقوم على معطيات الدرس اللساني، والانطلاق من مبدأ قوامه أن اللغة ظاهرة اجتماعيّة تدفع اللسانيين إلى الكشف عن وجوه العلاقة بينهما. للتوسع ينظر نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية، سلطان بن ناصر المجيلول، مركز حمد الجاسر الثقافى، ط1، 01، 2008، الرياض، السعودية، ص27

(1) - ينظر سامي عياد حنا كريم زكي حسام الدين نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة انجليزي عربي، مرجع سابق، ص 131.

(2) - ينظر: نعمة دهش فرحاني، مقاربات سيسو لسانية، مرجع سابق، ص24

وتذهب الباحثة نعمة دهش فرحاني إلى التفريق بينهما، وتطرح للتعبير عن هذا العلم استعمال مصطلح جديد "علم السوسيو لسانيات"، لأنه مهما كانت التسمية، فالاختلاف بينهما اختلاف بدرجة الأهمية، فموضوع علم الاجتماع اللغوي هو دراسة المجتمع في علاقته باللغة كي يدرك دارسو المجتمع الحقائق اللغوية التي من الممكن أن تزيد فهمهم للمجتمع، لأنه لا نستطيع أن نجد في خصائص المجتمع ما يميزه أكثر من ذلك في حين أن موضوع علم اللغة الاجتماعي هو دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأن جميع الظواهر الاجتماعية تحدث بالضرورة تغيراً في لغة المجتمع وهذا التغير اللغوي هو مدار اهتمام اللغوي؛ لأنه هو ضرب من ضروب التغير في التقاليد والأعراف الاجتماعية (1). والأساس الذي ينهض عليه التفريق القائم في أغلب المراجع العربية التي تتناول دراسة اللسانيات الاجتماعية هو القول:

1. إن المصطلح الأول يشير إلى دراسة المجتمع على ضوء القضايا اللغوية، والمشتغلون في هذا العلم الذي يشير إليه مصطلح sociolinguistics يكونون متخصصين في اللسانيات، ويدرسون اللغة نفسها باستخدام آليات هذا العلم وذلك بالنظر إلى علاقتها مع المجتمع.

2. في حين أن المصطلح الثاني يشير إلى دراسة اللغة على ضوء القضايا الاجتماعية أي: أن المشتغلين في العلم الذي يشير إليه مصطلح sociology of language يكونون متخصصين في علم الاجتماع، ويدرسون المجتمع باستخدام آليات هذا العلم وذلك بالنظر إلى علاقته مع اللغة (2).

وينطلق اللساني الاجتماعي جوشوا فيشمان في تعريفه لمصطلح sociology of language من تحديد مهام كل من علماء اللسانيات وعلماء علم الاجتماع، حيث إن لدى علماء اللسانيات وعياً بأن اللغات تختلف في كثير من أنماطها اللغوية، ولدى علماء علم الاجتماع وعياً بأن المجتمعات تختلف في كثير من أنماطها الاجتماعية. ثم يشير إلى أن مصطلح (اللغة) الواحدة قد تهتم من قبل اللسانيين بقضاياها الخاصة بها مثل: الشفرات المختلفة، والنوعيات الإقليمية داخل الشفرة الواحدة، والنوعيات اللغوية للطبقة الاجتماعية، والنوعيات الأسلوبية. وكل هذه التنوعات من الممكن أن تُدرس إما من وجهة نظر الاتصال اللغوي الواقعي، أو من وجهة نظر معايير اللغة المثالية. أما ما يتضمنه مصطلح (المجتمع) فاهتمامه مرتبط بالتفاعلات الثنائية، وتفاعل المجتمعات الصغيرة، وأداء الجماعة الكبرى لوظيفتها، ومفاصل الطبقات الاجتماعية والإقطاعات، والتماسات والتناقضات بين الأمم كلها. ويُعرف مصطلح sociolinguistics بأنه "علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني: استعمال اللغة،

(1) - ينظر: نعمة دهش فرحاني، مقاربات سوسيو لسانية، مرجع سابق، ص 25

(2) - ينظر: نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية، سلطان بن ناصر المجيول، مرجع سابق، ص 27

والتنظيم الاجتماعي للسلوك. ويركز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة، وهذا لا يشمل استعمال اللغة فحسب، وإنما يشمل أيضاً اتجاهات اللغة والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة⁽¹⁾.

يتضح مما تقدم صور التقاطع المعرفي، وكيف تأسست العلاقة بين علمي اللغة والاجتماع بالنظر إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد البنيات الاجتماعية التي تحكم التماسك بين أفراد المجتمع. فإذا كان علم الاجتماع اللغوي يعنى بدراسة العلاقات بين اللغة والمجتمع عموماً، فإن دراسة هذه العلاقة والرابطة الاجتماعية تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم الاجتماع؛ رغم ما بينهما من فروق معرفية ومنهجية واضحة تمام الوضوح؛ إذ يركز علم اللغة الاجتماعي على كيفية تأثير اللغة على المجتمع، في حين يركز علم الاجتماع اللغوي على كيفية تأثير المجتمع على اللغة، وبقدر ما يتعلق بعلم اجتماع اللغة، فإنه يسعى إلى فهم الطريقة التي تتأثر بها الديناميكيات الاجتماعية بالأفراد. وفقاً للنظرية الاجتماعية التي تُعتبر اللغة قيمة اجتماعية في هذا المجال، ويبحث علم الاجتماع اللغوي في علاقة الفئات الاجتماعية بظاهرة التعدد اللغوي والصراع اللغوي، ويتعامل مع كيفية إنشاء هوية الفرد أو المجموعة من خلال اللغة المتاحة للناس لاستخدامها

ثانياً التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية والتداولية

تتشترك اللسانيات الاجتماعية في ظروف نشأتها والبدائل التي عرضتها التداولية؛ حيث نشأت ردة فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت المكون الاجتماعي في اللغة، واقترحت في ذلك أن تدرس اللغة استناداً إلى مباحث أفعال الكلام، ومن خلال هذا الاشتراك يبدو أن للتداولية تداخلاً كبيراً مع اللسانيات الاجتماعية؛ في بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث على موضوعه، وبيان مراتبهم وأثر السياق غير اللغوي في اختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم⁽²⁾، وإن التقاطع بين العلمين ليجري بوضوح فيما تشهده الأبحاث اللسانية في زماننا هذا من انتقال مركز الاهتمام من الجملة إلى الحوار، حيث تقع هذه التوجهات على عدة مستويات:

- نظام وبنى الحوارات.

(1) Fishman, Joshua, A., "the sociology of language" in: Joshua Fishman, Readings in the sociology of language, Mouton & Co. N. V. Publishers, the Hague, Paris, 1972, P5

(2) - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط01، 2009، الجزائر، ص132.

- نمذجة typologie الحوارات (المحاجة، الخبر، الطاولات المستديرة، الدروس، إلقاء الكلمات إلخ...).

- حكم modalité التفاعل (اليومي، القانوني، الديني، العلمي) (1).

ومن جانب آخر فإن التداولية واللسانيات الاجتماعية تؤولان إلى قصدية واحدة؛ فاللسانيات الاجتماعية التي نشأت كرد فعل على اللسانيات التي تجاهلت المكوّن الاجتماعي للغة، عنيت أولاً بمشكل اللغة بوصفها وضعاً يناسب طبقات اجتماعية (وهو ما ركز عليه بازيل برنشتاين) واقتربت توسيع حظها ب:

-دراسة أفعال الكلام حسب الطبقات الاجتماعية (الأفعال المباشرة، والأفعال غير المباشرة).

-دراسة أفعال الكلام والتأدييات المختلفة في اللغات (تحليل تفاضلي تقابلي للغات) وفي الطبقات الاجتماعية (تحليل داخل اللغة الواحدة) (2).

وإذا رغبتنا في فهم أعمق لطبيعة العلاقة التي تربط بين اللسانيات الاجتماعية والتداولية؛ فلننظر إلى الأسئلة التي اقترحها بعض اللسانيين لترسم حدود موضوع البحث للتداولية؛ بدل إعطاء تحديد قد لا يرضي الجميع، ويقترح فندرليش في كتابه: (Funk Kolleg :1973 ص 102) سلسلة من الأسئلة التي يجب أن تشغل بال اللساني نوجز منها: - كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بواسطة القول؟

- كيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفاً؟

- كيف يمكننا التأثير على نشاط وآراء الأشخاص الآخرين؟

- إلى أي مدى يمكن اعتبار التلفظات كصفات خاصة للعمل؟

- ما هي الشروط الخليفة بجعل عمل ما يخفق أو ينجح؟

- كيف تتمّ الإحالة داخل التلفظات على سياق النشاط والمقام وكذا على واقع العالم (الطبيعة) والمجتمع وسيرورة العمل الذي يتمّ نقله بواسطة التقاليد والتربية والخبرة؟ (3). تطرح هذه الأسئلة بشكل

(1) - ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01،

1992، الجزائر، ص45

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص46

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص43

مبسط ضرورة عدم فصل اللغة عن السياق الاجتماعي؛ بل تجعل التفاعل اللغوي الاجتماعي ضمن صلب اهتماماتها وهو ما ترومه الأبحاث اللسانية الاجتماعية

وقد رأينا المقاربة اللغوية الاجتماعية تزدهر كرافد مهم للتداولية؛ فبالتوازي مع تطور النظريات التداولية القائمة على مفاهيم غرايس؛ للمقاصد، والعقلانية، والتعاون فقد وسعت مقاربات أخرى المجال عن طريق التركيز على حيوية التفاعلات الاجتماعية، والعلاقات الشخصية المتداخلة بين المتحدث والمتلقي؛ ففي حديث هورن وكيكسكييس H. Kecskes (2013: 353) تحافظ التداولية الاجتماعية والثقافية التفاعلية على وجوب اشتغال التداولية على البحث في المحددات اللغوية كما صرح ليتش "Leech" (1983: 10) بأن مبادئ التداولية تدار بشكل متنوع في ثقافات أو مجتمعات لغوية مختلفة، وفي حالات اجتماعية متباينة بين الطبقات الاجتماعية المتنوعة. ويهدف الاتجاه الثقافي الاجتماعي في التداولية إلى دراسة التنوعات الناجمة عن السياقات الاجتماعية في العمليات التواصلية الشفوية⁽¹⁾.

ثالثا اللسانيات الاجتماعية والتعليمية

تلقي اللسانيات الاجتماعية مع التعليمية من حيث المنهج ومجالات البحث؛ ولا يخفى أن تعليمية اللغات "La didactique des langues" تعد من انساق البحث اللساني المعاصرة التي تتداخل في سيرورتها المعرفية تخصصات متعددة؛ ذلك ما نستشفه من كلام جورج مونان "George Mounin" في تعريفه للتعليمية حيث يقول (التعليمية مصطلح حديث جدا يكون في أكثر احتمالاته منسوخا عن الألمانية، أو وجد في مقابل مفهوم "اللسانيات التطبيقية في تعليم اللغات"، ليمثل تمثيلا حسنا التقاطعات الموجودة بين تخصصات اللسانيات، وعلم النفس اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم التربية؛ وليجسد الجانب النظري الذي يغلب عليه العموم والتجريد)⁽²⁾.

يستخلص من هذا التحديد الاصطلاحي الإشارة إلى التقاطع الحاصل بين التعليمية واللسانيات الاجتماعية؛ وهو الأمر الذي يمكن أن يلحظه كل دارس للمجالات البحثية للعلمين؛ حيث يبدو التقاطع في عديد الظواهر اللغوية المشتركة بينهما؛ كالبحث في العوامل المؤثرة في تعليمية اللغة؛ ولا سيما ما تعلق بالبيئة والعوامل الاجتماعية المؤثرة في الاكتساب اللغوي، وتوضح جليا نقطة الاشتراك بينهما في

(1) - ينظر: ساندرين زوفري، اكتساب التداولية من منظور معرفي واجتماعي، تر سعد محمد القحطاني، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط01، 2018، الرياض، السعودية، ص16
(2) - Dictionnaire de la linguistique, George Mounin, presse universitaires de France, p107

مجال تعليم اللغة لفئات اجتماعية ذات صبغة مخصوصة (كتعليم اللغة للكبار، وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة)، هذا إلى جانب موضوعات أخرى مهمة من نحو؛ التداخل اللغوي في العملية التعليمية، والتخطيط اللغوي التربوي، ومناهج تعليم اللغات (المنهج الاتصالي) ، و الكفايات البيداغوجية، ونظريات التعلم واستراتيجياته (التأكيد هنا على النظريتين التواصلية والاجتماعية)⁽¹⁾.

ويبدو جليا إسهام اللسانيات الاجتماعية ورفدها لحقل تعليمية اللغات في حل كثير من المشكلات التي تعترض العملية التعليمية التعليمية؛ فتستعين بها في معالجة كثير من القضايا اللغوية العالقة في المجال التربوي؛ لا سيما تلك المتعلقة بالتفاعل بين اللغة، ومحيط الطفل، والمدرسة، والمجتمع؛ في هذا السياق يرى عبده الراجحي؛ أن علم اللغة الاجتماعي رافد مهم لعلم اللغة التطبيقي؛ ويورد عددا من مسائل علم اللغة الاجتماعي التي يعتقد أنها وثيقة الصلة بتعليم اللغة؛ نذكر منها⁽²⁾:

أ - **اللغة والثقافة** يقال إن المجتمع الإنساني هو ثقافته؛ وذهب بعضهم إلى أن اللغة هي الثقافة والثقافة هي اللغة؛ يترتب على ذلك أن تعليم اللغة لأبنائها لا بد أن يكون نابعا من ثقافة المجتمع، كما إن تعليمها لغير أهلها لا بد أن ينقل المتعلم الأجنبي إلى أن يفهم ثقافة هذا المجتمع.

ب - **المجتمع الكلامي** ويريد به تكلم اللغة الواحدة ومنطوقها في مجتمعات متعددة؛ كاللغة الانجليزية في بريطانيا وأمريكا وأستراليا وهو ما ينطبق في نظره على اللغة العربية الفصيحة في العالم العربي.

ج - **اللغة والاتصال**: كل مجتمع يتعارف على نظام خاص للاتصال بين أبنائه ، والثقافة لا تكون ثقافة إلا بوسائلها الاتصالية، ولم يعرف الإنسان حتى الآن وسيلة للاتصال أهم ولا أشمل من اللغة ويهتم علم اللغة الاجتماعي اهتماما خاصا بدراسة أنظمة الاتصال المختلفة وعلاقتها باللغة ومعنى ذلك ان اللغة لا تستعمل إلا في إطار اتصالي فما تأثير ذلك على تعليم اللغة

د - **الأحداث الكلامية** إن أي نطق بشري في مجتمع ما إنما ((يحدث)) داخل محيط معين؛ أي أن الكلام ((حَدَثٌ)) محدد نُحَدُّه عناصر معينة، وتؤثر في شكله وفي معناه، فقد يكون الكلام متشابها، ولكنه يمثل أحداثا كلامية مختلفة لاختلاف عناصره وعناصر الحدث الكلامي هي

(1) - ينظر في بعض هذه الموضوعات كتاب: دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومة للنشر والتوزيع، ط01، 2000، الجزائر، ص42، 88، 91

(2) - ينظر: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ط01، 1995، القاهرة، مصر، ص24

المتكلم، والمستمع، والعلاقة بينهما، والشفرة اللغوية المستعملة، والمحيط الذي يحدث فيه الكلام، وموضوع الكلام، وشكل الكلام

هـ - **الوظائف اللغوية** الرسالة اللغوية التي تجري داخل الحدث الكلامي إنما تؤدي ((وظيفة)) معينة وإذا كانت هناك وظائف ((عامة)) بين اللغات فإن الأغلب والأعم أن هناك وظائف ((خاصة)) بكل لغة؛ لأنها تعبر عن نظام ثقافي خاص بالمجتمع فوظائف ((التوجيه)) و ((الإحالة)) و ((الإبلاغ)) و ((المجاملة)) ليست واحدة كما أن لغة ((التحية)) و ((الشكر)) لا تؤدي وظائف واحدة في المجتمعات الإنسانية.

و - **التنوع اللغوي** لا توجد لغة على هيئة واحدة أو على نمط واحد؛ وإنما هناك ((تنوع)) لغوي وفق معايير علمية خاصة ويهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة هذا التنوع اللغوي الذي يبدو على هيئة لهجات وإذا كانت هناك قواعد لغوية للأصوات أو الكلمة أو الجملة فإن هناك قواعد للكلام باعتباره حدثاً يجري داخل مجتمع كلامي ويؤدي وظائف لغوية، وذلك ما لا يمكن إغفاله في قضية تعليم اللغة⁽¹⁾.

رابعا التقاطع بين اللسانيات الاجتماعية وعلم اللهجات

تهتم اللسانيات الاجتماعية بالتنوع اللغوي والتغيرات التي تلحق اللغة في الاستعمال بين جماعة لغوية وأخرى؛ وهو ما يعد تداخلاً فعلياً لها مع علم اللهجات؛ وهو علم من علوم الدرس اللساني الحديث وعلوم اللغة العربية؛ (*،) وإن لم يذكره علماء العربية القدامى بالاسم ضمن علومها، فإنهم خصوه بمباحث مطولة فيما عرف بـ لغات العرب ذكرها خصائص كل لهجة بحسب التنوع الاجتماعي في الجزيرة العربية.

فهذا العلم الذي يتتبع الظاهرة اللهجية في اللغات الإنسانية التي تنشأ عند انتشار اللغة في حيز جغرافي واسع، فيكثر مستعملوها مع ما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك مما يفتح المجال لظهور الاختلاف في الخصائص التي تميز النظام اللغوي لتلك اللغة؛ فتتشكل اللهجات ويبدأ الخلاف بين اللهجات عادة ما من ناحيتين

(1) - ينظر: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص26

(*) - في الدرس العاشر من هذه الدروس تفصيل للقول في علم اللهجات. للتوسع ينظر الصفحات 93 - 100

-إحداهما المتعلقة بالصوت؛ فتختلف الأصوات(الحروف) التي تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات

- الناحية المتعلقة بدلالة المفردات؛ فتختلف معاني بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها لتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعاً في محاربة عوامل والتغيير في داخل منطقتها ولا تألوا جهداً في درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات⁽¹⁾.

إن ما يلحق اللغة من هاتين الناحيتين وسواهما هو موضع اهتمام علم اللهجات والبحث اللساني الاجتماعي على السواء ونقطة التقاء بينهما؛ فكلهما يركز على دراسة تفرع اللغات إلى اللهجات، وما يمسه من تبدلات اجتماعية تنعكس على اللغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين بها، وعلاقة اللغة باللهجة والفصيحة، والثنائية والتعددية اللغوية، والأنظمة اللغوية المركبة والمعقدة، -وكما سلف القول- دراسة التبدلات الصوتية والصرفية والتركييبية والمعجمية والدلالية التي تعرفها اللغات واللهجات المحلية والجغرافية والطبقية والإثنية، والمقارنة بينها، والبحث عما هو مشترك ومختلف، والبحث عن عوامل هذا التبدل في ضوء المقاربة السوسيو لسانية.

وتهدف اللسانيات الاجتماعية فيما تهدف إليه بحث العوامل المؤثرة في تطور منطوق المجتمع وتحولاته اللغوية؛ صوتاً وتركيباً ودلالة ومعجماً مثلما هو الشأن مع اللغة العربية؛ لذلك (نحتاج في عصرنا هذا إلى الوقوف على مراحل تطور اللغة العربية، ومعالم كل مرحلة في تاريخها المديد، في الأصوات، وفي المفردات صيغة ودلالة، وفي الجمل والتراكيب والأساليب وغيرها، لنصبح على فهم أفضل للفتن، ونتمكن من تقديم حلول دقيقة أو أقرب ما تكون إلى الدقة في كثير من قضاياها على مختلف المستويات، فنعرف لماذا ماتت أصوات، وتحورت أخرى، ونفي عنها شبه الاضطراب والفوضى التي رميت بها في كثير من ظواهرها ومباحثها، كالاتسراك اللفظي والمعنوي، وتعدد الصيغ للمعنى الواحد، واختلاف الضبط، وكثرة المصادر والجموع السماعية، وظواهر الشذوذ المختلفة؛ كل ذلك ونحوه تقدم لنا فيه دراسة اللهجات حلولاً نابغة من صميم اللغة ومنهجها)⁽²⁾.

(1) - بالتصرف عن: علي عبد الواحد وإيف، اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، ط04، 1983، جدة، السعودية، ص-ص 115، 119

(2) - ينظر محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، دط، 1979، القاهرة، مصر، ص08.

الدرس الثالث

اللسانيات الاجتماعية

وعلم الأناسة اللغوي

أولا ميلاد اللسانيات الانثروبولوجية

ثانيا مفهوم اللسانيات الانثروبولوجية

ثالثا موضوع اللسانيات الانثروبولوجية

رابعا اللسانيات الاجتماعية وعلم الأناسة اللغوي

أولا ميلاد اللسانيات الانثروبولوجية

يعود مهد العلاقة بين اللغة والانثروبولوجيا في العصر الحديث في الأغلب إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما ازدهرت الدراسات اللغوية المقارنة أو المنهج المقارن، إلى جانب الأبحاث الانثروبولوجيا واللغوية على يدي العلماء الانجليز في المستعمرات الهند أوروبية؛ الذين كانوا يهدفون إلى البحث في طبيعة سيرورة الحياة الإنسانية في هذه المجتمعات؛ في عاداتهم وتقاليدهم، ومأكلهم ومشربهم، وملبسهم، وطرائق التواصل بينهم؛ اللغوية والرمزية الطقوسية

ولقد قاد البحث في جوانب الحياة في هذه المجتمعات والتنقيب فيها إلى الكشف عن أساليب تواصلهم اللغوية والرمزية، وطرائق تفكيرهم، ومجالات إبداعهم؛ (وكان أهم حدث لغوي في القرن الثامن عشر هو كشف سير وليام جونز "William Jones" الإنجليزي سنة 1786 للغة السنسكريتية، وللعلاقة بينها وبين اليونانية واللاتينية. وهكذا أخذ العلماء في مقارنة اللغة الهندية والإيرانية والأوروبية اللاتينية واليونانية والكلتية والجرمانية". كان لهذا الكشف نتائج بالغة الأثر في سير الدراسات اللغوية، وفي النهضة اللغوية الحديثة. نتج عن معرفة اللغة السنسكريتية إدراك العلاقة بينها وبين اللغة اللاتينية وما تفرع عنهما من لغات. وهكذا أخذ العلماء يتكلمون عن مجموعة اللغات التي سموها عائلة اللغات الهندو-أوروبية (1).

وعرف البحث اللساني في انجلترا تطورا متميزا مع نهاية القرن التاسع الميلادي؛ وامتداده في مستعمراته بإفريقيا وآسيا، وقد تطلع عدد من الدارسين الانجليز إلى فهم لغات المستعمرات وكيفية أدائها لأدوارها في التواصل الاجتماعي العام، واعتمد فيرث -فيما بعد على عمل الانثروبولوجيين وتفكيرهم؛ وبشكل أساسي على تفكير ب مالمينوفسكي B. Malinowski الذي طور وجهته لمهمة ترجمة الكلمات والجمل المحلية في النصوص الاثنوغرافية من جزر "تروبرياند Trobriand" إلى انجليزية مفهومة (2).

تبدو لنا إذاً حقيقة إن البحث في علم الإنسان هدى إلى كشف حقائق مهمة في الدرس اللساني؛ ومعها كانت بداية التقاطع بين الدرس اللساني والبحث الانثروبولوجي، وهو ما سينتج عنه المزاجية بين

(1) - ينظر: محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، ط 01، 1980، بيروت، لبنان، ص331

(2) ينظر ريه روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع227، نوفمبر 1997، الكويت، ص348

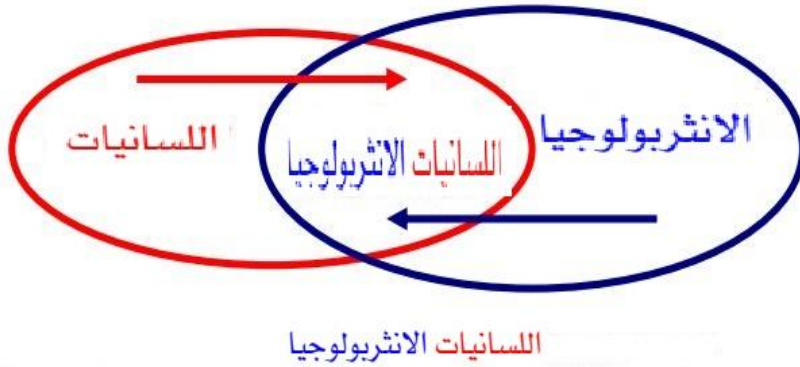
العلمين وميلاد اللسانيات الانثروبولوجية فماذا يراد بها ؟ وما هي مجالات اهتمامها وكيف تتقاطع بدورها مع اللسانيات الاجتماعية؟

ثانياً مفهوم اللسانيات الانثروبولوجية

يكشف هذا المفهوم " اللسانيات الانثروبولوجية " عن حقل معرفي يبدو في صورته المبسطة عبارة تركيب لغوي فيه جمع بين علمين بارزين في العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة هما: اللسانيات والانثروبولوجيا؛

- فهناك من جانب اللسانيات هذا الحقل المعرفي الذي تتحدد ماهيته في الدراسة العلمية للغة، وترسم حدوده في دراسة اللغة بذاتها ولذاتها.

- وهناك من جانب آخر الانثروبولوجيا التي توصف بكونها العلم الذي يدرس الإنسان؛ من حيث الطبيعة الإنسانية، وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية، ولون البشرة، والعادات والتقاليد، والديانات والمعتقدات، والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة (*)، وهو ما يمكن التمثيل له بهذه الخطاطة



خطاطة التداخل المعرفي بين اللسانيات والانثروبولوجيا

وقد تعددت الاصطلاحات العلمية المعبرة عن هذا العلم نذكر منها؛ علم الأناسة اللغوية، واللسانيات الانثروبولوجية، واللغويات الانثروبولوجية، والانثروبولوجية اللغوية، والانثروبولوجيا الألسنية، والألسنية الانثروبولوجية وهذه المصطلحات متمكنة كلها في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة.

(*) - للتوسع في هذا الجانب ينظر: حسين فهميم، قصة الانثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 01، 1986، الكويت، ص13

ويرى السندرو دورانتي "Alessandro Duranti" أنه قد استعمل المصطلحان "الانثروبولوجيا الألسنية" و"الألسنية الانثروبولوجية" تقريبا من دون تمييز في الماضي، وأي محاولة لإيجاد فروق دلالية أو عملية قد تقود إلى خطر إعادة كتابة التاريخ. حاول وليام هاييمز (W. Hymes) أن يثبت استعمال مصطلح الانثروبولوجيا الألسنية في عدة مقالات في بداية الستينات (Hymes 1963,1964). ولكن حتى هاييمز، وبالرغم من كونه مؤرخا شديداً التفحص، نجده يستعمل المصطلحين من حين إلى آخر. في كتابه: اللغة في الثقافة والمجتمع "Language in Culture and Society" يستعمل عبارة "الانثروبولوجيا الألسنية" عندما يعرف بهذه المادة في المقدمة (Hymes 1964:xxiii) وعبارة "الانثروبولوجيا الألسنية" و"الألسنيون الانثروبولوجيون" عندما يتكلم عن تأثير بواس (Boas): "بواس وأخصائيون آخرون في لانثروبولوجيات الألسنية..." وفي المقطع التالي، (Boas:1916) حدد أسلوبا يميز طريقة عمل بواس Boas " وجيل أو أكثر من الألسنين الانثروبولوجيين الأميركيين" (1).

وتعد اللسانيات الانثروبولوجية "anthropological linguistics" من حيث الاصطلاح العلمي أحد فروع اللسانيات التطبيقية المعاصرة؛ فهي كما يعرفها دافيد كريستال David Crystal في معجمه بأنها العلم الذي يبحث في تغير اللغة واستخدامها بالنسبة للأنماط والمعتقدات الثقافية الإنسانية، وذلك باستخدام نظريات ومناهج الأنثروبولوجيا. فهو على سبيل المثال يبحث الطريقة التي تتطابق فيها الملامح اللغوية لعضو ما داخل جماعة لغوية (تكون عادةً بدائية) مع مجموعة اجتماعية أخرى أو دينية أو مهنية... إلخ (2).

وقد عرف السندرو دورانتي "Alessandro Duranti" (أن الانثروبولوجيا اللغوية؛ هي دراسة اللغة كثروة ثقافية والكلام كممارسة ثقافية. بهدف إعطاء مفهوم لأوجه اللغة العديدة كمجموعة من الممارسات الثقافية، أي كنظام تواصل) (3).

وأن الانثروبولوجيا الألسنية فرع مستقل من المعرفة يستحق الدراسة لانجازاتها الماضية، ولتطوره إلى المستقبل، كما نجده في أعمال مجموعة صغيرة من الباحثين مفعمة بالنشاط في عدة مجالات. أسست أعمالهم المتعلقة بطبيعة اللغة كأداة اجتماعية وبالكلام كممارسة ثقافية ميدانا لأبحاث أعطت معاني جديدة للتقاليد الحاضرة والماضية المعتمدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية،

(1) - ينظر: السندرو دورانتي، الانثروبولوجيا الألسنية، تر فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2013، بيروت، لبنان، ص19

(2) - Crystal, D., a Dictionary of Linguistics and Phonetics, (sociolinguistics), p34.

(3) - ينظر: الانثروبولوجيا الألسنية، السندرو دورانتي، مرجع سابق، ص22

وتدعو الجميع إلى أن يفكروا بشكل جديد في العلاقة بين اللغة والثقافة، وأن الانثروبولوجيا اللغوية مجال حقول متداخلة من المعرفة يعني أنها تستمد الكثير من مجالات أخرى مستقلة وبالأخص من المجالين اللذين يشكلان اسمها، أي علم اللغة والانثروبولوجيا (1).

ثالثاً موضوع اللسانيات الانثربولوجية

تدرس اللسانيات الانثربولوجية مجموعة من الموضوعات المهمة لها علاقة بما هو لساني، وما هو انثربولوجي في الآن نفسه؛ وكإطار عام للدراسة اللسانية الانثربولوجية فإن العلاقة بين اللغة والثقافة والمجتمع هي المجال الأساس والرحب للبحث اللساني الانثربولوجي؛ حيث تتجه أنظار الدارسين إلى وضع (اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان، ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلق بالمقومات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني، ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة) (2).

ويركز اللغويون الانثربولوجيون أكثر على طريقة تشكيل الكلمات، على نحو؛ ما نجده في علم الأصوات أو نطق اللغة إلى أنظمة الدلالات والقواعد. ويهتم اللغويون بشدة بـ "تبديل الشفرة"، وهي ظاهرة تحدث عندما يتم التحدث بلغتين أو أكثر في منطقة ما، ويستعير المتحدث اللغات أو يخلطها في خطاب عادي. على سبيل المثال، عندما يتحدث شخص ما جملة باللغة الإنجليزية ولكنه يكمل فكرته أو فكرتها باللغة الإسبانية ويفهم المستمع المحادثة ويواصلها بطريقة مماثلة. قد يكون عالم الأنثروبولوجيا اللغوية مهتماً بتبديل الشفرة لأنه يؤثر على المجتمع والثقافة المتطورة، لكنه لن يميل إلى التركيز على دراسة تبديل الكود، والذي سيكون أكثر أهمية بالنسبة للغة (3).

إن الأنثروبولوجيا اللغوية بذلك هي دراسة متعددة التخصصات حول كيفية تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية. فهي فرع جاء مثلاً من أجل محاولة لتوثيق اللغات المهددة بالانقراض، وقد توسعت خلال المائة عام السابقة لتشمل تقريباً أي جانب خاص بتركيب اللغة واستخدامها؛ وتوضح الأنثروبولوجيا اللغوية كيف أن اللغة تمثل التواصل، وتشكل الهوية الاجتماعية، والمشاركة في

(1) - ينظر: الانثربولوجيا الألسنية، السندرو دورانتي، مرجع سابق، ص25

(2) - عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط01، 2004،

دمشق، سوريا، ص101

(3) - ينظر: الانثربولوجيا الألسنية، السندرو دورانتي، مرجع سابق، ص25

مجموعة وتنظم معتقدات وأيدلوجيات ثقافية على نطاق واسع، وتتمى التمثيل الثقافي للعالم الطبيعي والاجتماعي؛ وكما أشرنا سابقاً إلى تصور أليساندرو دورانتى" الذي بين أن هناك ثلاثة نماذج عبر تاريخ التخصصات الفرعية:

-الأول يعرف باسم "لغويات الأنثروبولوجيا" والذي يركز على توثيق اللغات.

-والثاني يعرف باسم "الأنثروبولوجيا اللغوية" والذي يتعلق بالدراسات النظرية لاستخدام اللغة.

-والنموذج الثالث الذي تطور خلال العقدين أو الثلاثة الماضية، فيدرس القضايا المتعلقة بالمجالات الفرعية الأخرى للأنثروبولوجيا باستخدام أدوات البحث اللغوية. فعلى الرغم من أنها تطورت بصورة تسلسلية، فكل هذه النماذج موجودة حتى اليوم. تبحث الأنثروبولوجيا اللغوية المعاصرة في النماذج الثلاثة المذكورة أعلاه. وتعد مجالات النموذج الثالث، أي دراسة القضايا الأنثروبولوجية، مجالات غنية بدراسات علماء الأنثروبولوجيا اللغوية الحاليين (1).

وقد رأينا مبلغ الاهتمام باللغة عند الانثروبولوجيين؛ ومن ذلك كلود ليفي سترافوش " Claude Lévi-Strauss (ت2009م) الذي يعطي أهمية بالغة للغة؛ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أن اللغة هي الخاصية الرئيسية التي تميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى ولذلك، يعدها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها فهم كل صور الحياة الاجتماعية(2). وهذا ما يؤكد في كتابه (مداريات حزينة) (وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، حيث يقول: (حين نقول الإنسان .. فإننا نعني اللغة. وحين نقول اللغة ... فإننا نقصد المجتمع. " وهذا ما دفعه إلى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكل مادة غير لغوية. كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهمية أكثر مما يعطي للمعنى (المدلول)، ولا سيما أن الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعاً لاختلاف تجاربهما. بل أن الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة) (3).

(1) - ينظر: الانثروبولوجيا الأسنوية، السنندرو دورانتى، مرجع سابق، ص26

(2) - مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، عيسى الشماس، مرجع سابق، ص104

(3) - ينظر: كلود ليفي سترافوش، مداريات حزينة، تر محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 01، 2003،

دمشق، سوريا

رابعاً علم الأناسة اللغوي واللسانيات الاجتماعية

تتداخل اللسانيات الاجتماعية في موضوعاتها مع اللسانيات الأنثروبولوجية "anthropological linguistics"؛ وهو ما يمكن أن نطلق عليه بالمشترك المعرفي والتداخل الموضوعي بين مجال البحث اللساني الاجتماعي مع البحث الأنثروبولوجي؛ وهو التغييرات اللغوية التي يحدثها الفرد بوصفه عضواً ضمن جماعة لغوية ما أو ما تلحقه جماعات لغوية محددة في استعمالها اللغوية اليومية في مجالات المعتقدات الثقافية الإنسانية وسواها

وقد اعتبر الأنثروبولوجيون دائماً-بوصفهم دارسين يبحثون في الأنماط السلوكية الفردية والاجتماعية- اللغويات حقلاً فرعياً مهماً من نظام دراستهم ومعرفتهم، وقد كان رواد الأنثروبولوجية البارزون أمثال بوس "Boas"، وسابير "Sapir"، أو كروبير "Kroeber" رواداً أيضاً في حقول محددة من اللغويات ومنذ ثلاثة عقود، لا يزال العلماء المهتمون باللغة من منظور أنثروبولوجي يجدون متنفساً لآرائهم ومناقشاتهم في دورية "اللغويات الأنثروبولوجية" "anthropological linguistics"، التي يصدرها قسم الأنثروبولوجية في جامعة انديانا في بلومينغتون، وتظهر بحوث حول الأنظمة القريبة لهذه المجلة؛ من نحو ما يأتي:

- أساليب الكلام

-واللهجات الخاصة

-وتحليل المحادثة،

-والأنثروبولوجية الدلالية

-واثنوغرافية الكلام

-واللغة والثقافة ومواضيع أخرى قريبة من هذه؛ في "الأنثروبولوجي الأمريكي" "American Anthropologist"، واللغة في المجتمع "Language in Society" والدورية العالمية للغويات الأمريكية "International Journal of American Linguistics" (1).

(1) ينظر ادجر. س. بولوم، اللغة والسلوك؛ اللغويات الأنثروبولوجية، ضمن الموسوعة اللغوية، تحرر ن. ي. كولنج، تر محي الدين حميدي عبد الله الحميدان، منشورات جامعة الملك سعود، ط1، 01، 1421هـ، الرياض، السعودية، مج02، ص660

إن هذا القول يكشف بوضوح ما يجمع من مسارات البحث المشتركة بين اللسانيات

الاجتماعية والانثروبولوجيا والتداخل المعرفي بينهما؛ ولعل من المجالات البارزة التي ترتبط بالانثروبولوجيا في دراستها منهجا وتطبيقا حقلا؛ الاثنوغرافيا " Ethnography والاثنولوجيا " Ethnology" (□*)؛ وقد قدم كل من جون قمبرز " John. GUMPERZ " (ت2013) وديلي هايمز " Delly Hymes " (1927-2009) أبحاثهم التطبيقية القيمة في اثنوغرافيا التواصل "The Ethnography of Communication" هذا الاتجاه الذي طورا من خلاله البحث اللساني الاجتماعي في موضوعه ومنهجه ؛ حيث قاما بتحليل التواصل ضمن سياق يشمل الممارسات الاجتماعية والثقافية ومعتقدات الأعضاء المنتمين لثقافة معينة أو لجماعة لغوية محددة (2).

وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية، يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الإدراكات والنماذج الفكرية المختلفة، في عدد وافر من الحضارات. ويدخل في ذلك، دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروقات الاجتماعية. (Kattak,1994, 10) (3).

إن التشابه المنهجي الشديد بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من جهة، وعلم اللغة من جهة أخرى، يفترض واجبا خاصا من التعاون فيما بينها، حيث يستطيع علم اللغة أن يقدم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة، من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة، من قبل عالم الأنثروبولوجيا أو عالم الاجتماع، وبذلك يلتقي علماء الأنثروبولوجيا، بهدف مقارنة الفروع التي ينتجها هذان العلمان. ويقترب اللغويون من علماء الأنثروبولوجيا، آملين في جعل دراساتهم أكثر واقعية، وفي المقابل، يلتمس الأنثروبولوجيون اللغويين كلما توسموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقته فيهم على ما يبدو، ألفتهم الزائدة مع الظواهر المادية والتجريبية (كلود ليفي ستروس (1977: 49-92) ولذلك يلاحظ أن فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى؛ فدراسة اللغات

(*) -يعرف دافيد كريستال الإثنوغرافيا Ethnography بكونها فرع يركز فيه علماء اللغة الاجتماعية على دراسة اللغة والمجموعة الكاملة من المتغيرات اللامنهجية التي تحدد الأساس الاجتماعي للتواصل، مع التركيز على وصف التفاعل اللغوي ويعرف الاثنولوجيا ethnolinguistics بأنها فرع يقوم بدراسة اللغة من حيث علاقتها بالأنماط والسلوكيات العرقية للتوسع ينظر

Crystal, D., a Dictionary of Linguistics and Phonetics, (ethnolinguistics), p 174
(1) - John J. Gumperz, Dell Hymes, Directions in Sociolinguistics: The Ethnography of Communication Published By: Linguistic Society of America, USA, p35

(2) - مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، عيسى الشماس، مرجع سابق، ص101

يمكن أن تجري دون اهتمام كبير بعلاقتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة، ومما لا شك فيه، أن اللغات - بما فيها من تراكيب معقدة وغريبة، وما تتطوي عليه من تنوع هائل، ولا سيما عند الشعوب البدائية، تزود الباحث بمادة دراسية غنية لا يمكن حصرها (لينتون 1967: 20) (1).

لقد تناول الأنثروبولوجيون اللغة والثقافة والمجتمع بطرائق مختلفة؛ فهناك لغة وثقافة بجوهرهما، وربما ركز النقاش هنا على وظيفة اللغة بوصفها طريقة لتعريف التجربة لتكلمها وفق ما تتصوره فرضية "وورف-سابير" (*)، أو على المقارنة بين صفات محددة في المجتمع مثل أنظمة القرابة، والتراكيب اللغوية (2)؛ هذا الموضوع - أنظمة القرابة - يعد من أهم صور التقاطع المعرفي بين علم الأناسة اللغوي واللسانيات الاجتماعية وقد ركز عليه كثيرا دراسات علم الأناسة اللغوي؛ فكل النظامان؛ القرابي واللغوي تجسيد لعلاقات مركبة ومتداخلة، تتفاعل فيها عناصر متعددة ولا يقتصر فيها أداة الوظيفة والدور على عنصر واحد بل على التكامل والتفاعل الكلي

ومن الدارسين العرب الذين عرضوا لهذا الموضوع المهم في البحث اللساني الأنثروبولوجي نجد كريم زكي حسام الدين؛ ولا بأس أن نتوقف هنا في عجالة عند محاور دراسته القيمة "اللغة والثقافة دراسة: أنثرو- لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية" التي جاءت في ثلاثة أبواب: (3)

- في الباب الأول الذي حمل عنوان؛ اللغة والثقافة الأداة والمنهج، تحدث عن المنحى اللغوي والدراسات الأنثروبولوجية، وعن اللغة والثقافة.

- وفي الباب الثاني الذي حمل عنوان؛ أهمية القرابة وسماتها في الثقافة العربية، بين فيه أهمية القرابة في الثقافة العربية، والقرابة وصلة الدم، والقرابة وطبقات المجتمع.

(1) - مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 101
(*)- وفقاً لنظرية "سابير / وورف"، تعكس كل لغة رؤيةً محددة للعالم، وهي رؤية خاصة بها. ففي نظر هذين العالمين تنظم لغة أي مجتمع كان ثقافته الخاصة به، أي أنها تنظم كيف يقوم أفراده بإدراك الواقع وكيف يتصورون العالم. وبالتالي، يرى "سابير" و"وورف" أن الفروق بين لغتين تؤدي إلى نمطين مختلفين من البنيات الفكرية والانفعالية على حد سواء. بين لغتين معيّنتين هنالك إذن عالمان مختلفان، وليس عالماً واحداً تتم تسميته بمجموعتين مختلفتين من الكلمات والتعابير للتوسع ينظر

Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique, Paris, Larousse, 1999, sous « Whorf-Sapir (hypothèse de) », p511

(2) ينظر اللغة والسلوك؛ اللغويات الأنثروبولوجية، ادجر. س. بولوم، مرجع سابق، ص 661

(3) ينظر كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة: أنثرو- لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1998، القاهرة، مصر.

- وفي الباب الثالث الذي حمل عنوان؛ ألفاظ القرابة في الثقافة العربية، كشف عن ألفاظ المفاهيم العامة للقرابة، وألفاظ الجماعات القرابية، والألفاظ الواصفة لعلاقة الزواج والطلاق، والألفاظ الواصفة لأشكال الزواج والتزاوج، والألفاظ الواصفة لعلاقات القرابة والمصاهرة حيث أثبت أن نظام القرابة ظاهرة لغوية في المقام الأول وظاهرة اجتماعية في المقام الثاني، وأن التفاوت في ألفاظ القرابة من مجتمع لآخر يعود إلى التباين الثقافي بين المجتمعات الإنسانية، وبين أن الدور الذي يقوم به نظام القرابة المتمثل في الزواج يشبه الدور الذي يقوم به نظام اللغة المتمثل في الكلام؛ فكلاهما يهدف إلى تحقيق التواصل بين أفرادهم، وإذا كانت الكلمات هي مكونات النظام اللغوي، فإن النساء اللاتي يرتبط بهن الرجال من مكونات نظام القرابة الذي يحقق علاقات تواصل جديدة في المجتمع لقد ارتبط نظام اللغة ونظام القرابة وغيرهما من أنظمة التواصل بظهور العلامات أو الرموز التي تكون هذا النظام أو ذلك، وهذا يفسر العلاقة الواضحة بين اللغة وثقافة الجماعة اللغوية، إننا لا يمكن أن تحدد دلالات مفردات اللغة وألفاظ القرابة تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البنية الثقافية للناطقين بها⁽¹⁾.

(1) ينظر اللغة والثقافة دراسة: أنترو- لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق، ص235.

الدرس الرابع

اللغة والطبقة الاجتماعية

أولاً. مفهوم الطبقة الاجتماعية

ثانياً مدلولات الطبقة الاجتماعية في التراث العربي

ثالثاً مدلولات الطبقة الاجتماعية في العصر الحديث

رابعاً علاقة اللغة بالطبقة الاجتماعية

خامساً نظرية بازيل برنشتاين عن اللغة والانتماء الاجتماعي

أولا مفهوم الطبقة الاجتماعية

يعد مفهوم الطبقة -بالأجنبية من أكثر الاصطلاحات اللغوية تداولاً وشيوعاً في مختلف حقول المعرفة المعاصرة؛ تستوي في ذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم المادة الحية التي يحقق فيها امتداده الاصطلاحي العلمي الدقيق على السواء. وهو ما ينعكس على شساعة الدلالات المعرفية لهذا المفهوم وتزداد صعوبة حصرها عند نسبة هذا المفهوم إلى حقل معين كأن نقول طبقة اجتماعية، طبقة سياسية، طبقة مثقفة...، وهو ما يدعو إلى استكشاف امتداداته المعرفية؛ لا سيما ما يرتبط في هذا السياق بمجال اللغة والمجتمع.

فأي علاقة يمكن أن تربط بين مفهوم الطبقة في مدلولها الاجتماعي باللغة والدرس اللساني عامة؟ وهل ثمة تأثير لمدلولات هذا المفهوم في طبيعة اللغة واستعمالاتها الاجتماعية؟ وهل يتقيد التفاعل اللغوي في التواصل اليومي (كالتحايا مثلاً) بين أفراد المجتمع بمحددات طبقية معينة؟. ولو بدأنا بالنظر في المعاجم اللغوية لوجدنا أنها تمنحنا بوافر معتبر من الدلالات اللغوية نوجز بعضها فيما يأتي:

- طَبَقَةٌ: جَمْعُ: طَبَقَاتٍ: طَبَقَةٌ مِنَ النَّاسِ: شَرِيحَةٌ، فَيْئَةٌ. النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى وَالنَّاسُ طَبَقَاتٌ. طَبَقَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ، طَبَقَةٌ وَسْطَى، طَبَقَةٌ بُورْجُوَازِيَّةٌ، طَبَقَةٌ الْأَغْنِيَاءِ، الطَّبَقَةُ الْعَامِلَةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ﴾ [الملك: 03]؛ دَرَجَاتٍ، مَنَازِلَ، مَرَاتِبَ. طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ .
وَالطَّبَقَةُ: فَيْئَةٌ مِنَ النَّاسِ ذات منزلة معينة، مجموعة من الناس يمارسون وظائف متشابهة ولهم مصلحة وأوضاع متحدة في المجتمع. خلق الله الناس على طبقات شتى. يتكوّن المجتمع من عدة طبقات. صار من الطبقة المثقفة / العاملة. الطبقة الحاكمة: التي بيدها الحكم (1).

- وفي معجم آخر: اُطْبِقَ: انضَمَّ بعضُهُ إلى بعضٍ. وانطبق عليه كذا: وافقه وناسبه وحقّ عليه. تطابقت: توافقت وتساويا، فهو مُتطابق. تطابقت آراؤهم: تَوَافَقَتْ
وَالطَّبِقُ: الْمُطَابِقُ لِغَيْرِهِ الْمُسَاوِي لَهُ. وَالطَّبَقَةُ: الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلِ، أَوْ الْقَوْمُ الْمُتَشَابِهُونَ فِي سِنٍ أَوْ عَهْدٍ. وَالطَّبَقَةُ: الْحَالُ وَالْمَنْزِلَةُ. وَالطَّبَقَةُ: الْمَرْتَبَةُ وَالدرَجَةُ(2).

إن إعادة تفحص هذه المادة اللغوية لاصطلاح طبقة يمدنا بعديد الاستنتاجات نذكر منها:

- الطَّبَقَةُ في الأصل التشابه في الوضع والحال، أو العمر، أو الدرجة أو المرتبة .
- الطَّبَقَةُ في الأصل التماثل والتناسب والتوافق في الأوصاف والنعوت والآراء، والتساوي وعدم التفاوت.
- الطَّبَقَةُ الانتماء للشريحة والفئة من الناس نفسها.

(1) -ينظر أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط01، 2008، القاهرة، مصر، ص1388.

(2) -ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط 04، 2004، القاهرة، مصر، ص551.

ثانيا مدلولات الطبقة الاجتماعية في التراث العربي

من أكثر الألفاظ تداولاً في المصنفات التراثية العربية؛ فقد تردد هذا اللفظ في المعاجم اللغوية؛ ذلك ما نجده مثلاً في معجم لسان العرب حيث جاء في مادة "طبق طبق" لبعض أي مساوٍ له، وجمع لأنه عنى الجنس، وقد يجوز أن يكون من نعت الليلة أي بعض ظلّمها مساوٍ لبعض فيكون كجُبّة أخلاق ونحوها. وقد طابقت مطابقتاً وطباقاً. وتطابق الشيطان: تساويًا. والمطابقتة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. ابن الأعرابي: الطبق الأمة بعد الأمة. الأصمعي: الطبق، بالكسر، الجماعة من الناس. ابن سيده: الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم. وطبقات الناس في مراتبهم⁽¹⁾.

يرى الباحث الاجتماعي العربي محمد ثابت الفضي أن لفظ (الطبقات) معروف عند مؤلفي العرب القدامى. فهؤلاء يحدثوننا عن:

- طبقات الشعراء

- وطبقات المحدثين

- وطبقات الأطباء

- وطبقات النحاة . وغير ذلك من الطبقات، ولكن ليس هذا المعنى الزمني هو الذي نقصده هنا، وإنما نقصد المعنى الاجتماعي، كما نجده عند مؤلفين آخرين حين يتحدثون عن طبقة العامة وطبقة الصناع وطبقة التجار وغير ذلك⁽²⁾.

نجد كذلك هذا المعنى الاجتماعي للفظ الطبقات متصلاً بألفاظ أخرى؛ كلفظ (أقسام)؛ يقول

المقريزي(ت 845 هـ) ما نصه؛ إن الناس بإقليم مصر على سبعة أقسام:

-القسم الأول أهل الدولة

-والقسم الثاني أهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية

-والقسم الثالث الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، ويقال لهم أصحاب البز (الأقمشة).

-والقسم الرابع أهل الفح وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى والريف،

-والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم

-والقسم السادس أرباب الصنائع والإجراء أصحاب المهن

-والقسم السابع ذوو الحاجة والمسكنة؛ وهم السوّال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم⁽³⁾.

(1) -ينظر : لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (طبق).

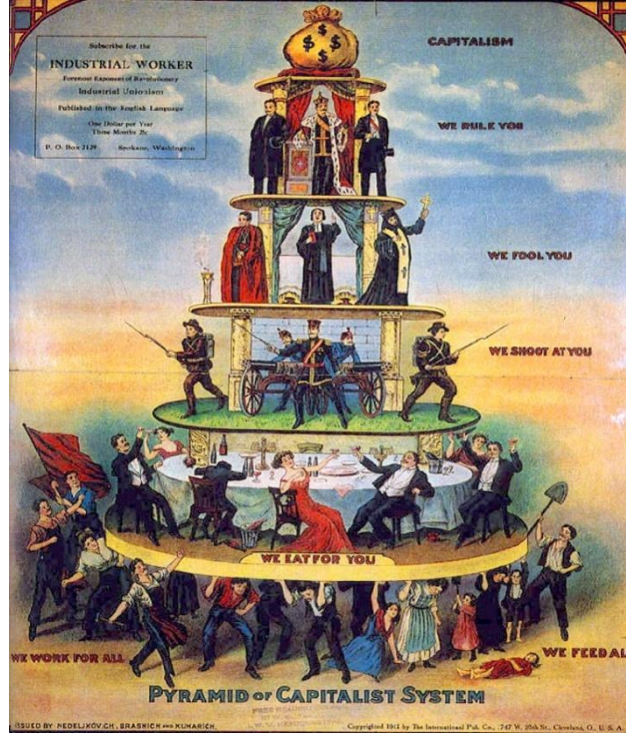
(2) -بالتصرف عن : محمد ثابت الافندي، الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية الفرنسية، وكالة

الصحافة العربية ناشرون، د.ط، 2019، الجيزة، مصر، ص13

(3) -ينظر : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، 2007، القاهرة، مصر، ص 147 - 150.

ثالثا مدلولات الطبقة الاجتماعية في العصر الحديث

كثرت التعريفات عند المؤلفين المعاصرين لمفهوم الطبقة الاجتماعية وربما احتاجت إلى محاضرات مطولة لاستعراضها ومناقشتها، واللفظ بمعناه الاجتماعي يقابله في اللغات الأجنبية - بالفرنسية "Classe" وبالانجليزية "Class" -؛ وهو لم يستعمل بمعناه الاجتماعي إلا منذ عهد قريب نسبيا؛ حيث نجده سنة 1766م عند ترجو Turgot، كما نجده بعد ذلك عند سان سيمون Saint Simon سنة 1825م، ولكن قد شاع استعماله بالأخص منذ كارل ماركس في أواسط القرن التاسع عشر⁽¹⁾. ولقد عبر مفهوم الطبقة الاجتماعية عن تطور سيرورة المجتمعات الأوروبية منذ عصر النهضة في حياتها الاقتصادية والسياسية واتجاهها صوب النظام الرأسمالي؛ وانعكاساته على الجانب الاجتماعي؛ حيث تم تقسيم المجتمع إلى فئات ذات صبغة واحدة؛ وهو ما توضحه مثلا هذه الصورة



صورة توضح التدرج الطبقي في المجتمع الفرنسي⁽²⁾.

في هذه الصورة يبدو المجتمع في صورة هرم يتكون من خمس طبقات اجتماعية؛

(1) - ينظر : الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية الفرنسية، محمد ثابت الفندي، مرجع سابق، ص 13

(2) ينظر هذه الصورة لهرم النظام الرأسمالي؛ الموضحة للتدرج الطبقي في المجتمع الفرنسي؛ تاريخ الاطلاع عليها 15

أفريل 2021، من خلال الرابط الإلكتروني

https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/e/e8/Pyramid_of_Capitalist_System.jpg

-طبقة الأولى طبقة العمال والفلاحين والتي تمثل قاعدة الهرم .

-وطبقته الثانية هم الأثرياء والنبلاء (الإقطاع).

-وطبقته الثالثة هم المحاربون (الفرسان)

-وطبقته الرابعة رجال الدين

-ونهاية الهرم يمثلها الملك الذي يأتي في أعلى الطبقات؛ ويستمد قوته بالحق الإلهي؛ ولكل

طبقة خصائصها التركيبية المميزة لها على الصعيدين المادي والمعنوي؛ ما يعيننا منها بالأخص في البحث

اللساني الاجتماعي؛ هو السجل اللغوي المستعمل عند كل طبقة اجتماعية؛ والذي يبرز في خصائص

مستويات النظام اللغوي؛ فطبقة الفلاحين تستعمل لغة عامية بسيطة البناء والتركييب؛ وتتصف في بعض

جوانبها المعجمية بالابتذال، ولا تخلو من المحذور اللغوي؛ وتعكس على المستوى الدلالي بيئة العامل

والفلاح؛ فتكثر فيها ألفاظ حياته اليومية؛ كالوصف بالحيوان، والوصف بالنبات والجماد

ولقد أولت المعرفة الحديثة أهمية بالغة لمفهوم الطبقة الاجتماعية لارتباطاته المتعددة في ميادين

الفكر والاجتماع والسياسة والاقتصاد وهو ما يمدنا بوافر معتبر من الدلالات المعرفية نذكر منها:

- تشير بعض المعاجم إلى أن الطبقة " Class " في أكثر معاني الكلمة شيوعا وتداولاً إلى تقسيم أو

نظام أو رتبة أو درجة اجتماعية .وتشيع في تراكيب لغوية من نحو: الطبقات العليا والطبقات الوسطى

والطبقات الدنيا⁽¹⁾.

-وتذهب معاجم أخرى إلى أن مفهوم الطبقة الاجتماعية Social Class يعود تاريخياً إلى التحليل

الماركسي الكلاسيكي الذي يقوم بتصنيف طبقتين فقط، وهما: (الطبقة البرجوازية أو الطبقة

المالكة، Owner Class وطبقة العمال أو الطبقة غير المالكة Non- Owner Class)، أما مفاهيم

الماركسية الجديدة Neo-Marxist فقد عرفت الطبقة المعتدلة والطبقة الغامضة بالطبقة الوسطى،

والتي تتكون من المالك والعامل في آن واحد ويستخدم المعيار الحدسي أحياناً لتمييز الطبقات

الاجتماعية عن بعضها. فغالبية الناس تجد أنه من السهل الحكم على الفرد إذا كان من الطبقة العاملة

(وتسمى أحياناً طبقة عمال الياقة الزرقاء، Blue-Collar مثال، الأشخاص الذين يقومون بمجهود

جسدي" أو الطبقة الوسطى) وتسمى أحياناً عمال الياقة البيضاء White - Collar مثال؛ الأشخاص

الذين يعملون في المكاتب وقطاع الخدمات وتصور المؤشرات الاقتصادية الاجتماعية التباين الاجتماعي

كتباين تدريجي وليس ثنائي التفرع، وعدد كبير من المجموعات (المتداخلة جزئياً) يتم تصنيفها بناء

(1) -ينظر : طوني بينيت. ولورانس غروسبيرغ. وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر سعيد الغانمي، المنظمة

العربية للترجمة، ط01، 2010، بيروت، لبنان، ص445

على هذه المؤشرات (مثال : الطبقة العاملة الدنيا ، Lower Working Class الطبقة العاملة الوسطى Upper Working Class.(Middle " ، الطبقة العاملة العليا Working Class⁽¹⁾).

رابعا علاقة اللغة بالطبقة الاجتماعية

بناء على مقولة: « قل لي مع من تتعامل أقل لك من أنت، ودعني أسمع كيف تتكلم، أقل لك من أنت»، يمكن القول أن لغتنا هي عنوان انتمائنا الوطني والإقليمي والاجتماعي؛ إنها عنوان شخصيتنا وتكويننا، وما صوغ المقولات اللغوية الشفوية والكتابية المميزة لوحدة الإنسان الاجتماعية بأكثر من الأسلوب، وأسلوب الإنسان الشخصي بهذا المعنى يشبه بصمته التي تميزه على نحو لا يقبل اللبس؛ ولا يقتصر الأسلوب في فرضيتنا هنا على اللغة الفنية لأن كل مقولة لغوية لها أسلوبها، بغض النظر عن تقويم المرء له بالجيد السيئ؛ لأن الأسلوب الشخصي يجب أن يفهم فهما عاما⁽²⁾.

فالهوية الأسلوبية اللغوية لكتاب معين تتجلى في قدرة القراء المثقفين على تمييز هذه الهوية من خلال نصوص لا يعرف كتابها، بالنظر إلى طريقة الكتابة المميزة فيها، وإذا نستطيع أن نميز في الأسلوب اللغوي الشخصي، ونقله ولأسباب استكشافية بالنظر إلى وحدة الأسلوب إلى مجال الاختيار في نطاق الجملة، والنص بهذه الإمكانيات الاختيارية يبيّن هذا النموذج من المستويات الأسلوبية في مقابلة نموذجين (1 - 2) من هذه الأساليب، بيان بعدم تباينهما، إلا في تعديلات اصطلاحية وموضوعية بسيطة في شكل هذه الخطاطة⁽³⁾:

2	1
شعري	شعري
رفيع	رفيع
← لغة ثقافية	لغة عادية
← لغة رسمية	
← لغة الوثائق	
لغة عائلية	لغة التعامل
لغة التعامل	لغة عامية مهملة
لغة خليطة خشنة "dreb"	لغة عامية مبتذلة "Vulgaer"

خطاطة مستويات الأسلوب اللغوي الشخصي

⁽¹⁾ - ينظر : معجم اللغويات الاجتماعية، جون سوانن وآخرون، مرجع سابق، ص352

⁽²⁾ - ينظر : فيلي سانديرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر خالد محمود جمعة، دار الفكر، ط01، 2003،

دمشق، سوريا، ص352

⁽³⁾ - ينظر : نفسه، ص354

تميز هذه الخطاطة بين مستويات نموذجين للأسلوب اللغوي الشخصي الذي يتدرج في النموذج الأول من المستوى الشعري الإبداعي إلى اللغة العامية المبتدلة، ويتدرج في النموذج الثاني من المستوى الشعري الإبداعي إلى اللغة الخليط الخشنة؛ وهو خاضع في ذلك للطبقة الفئة المخاطبة بهذا الأسلوب ولقد تم استخدام التحليل الطبقي في اللغويات الاجتماعية؛ لتوضيح كيف أن اللغة تستخدم بشكل جلي خطوطا طبقية معرفة بشكل جيد، وإن وجود اللهجات الطبقيّة Restricted Codes والمقيدة Codes المعرفة بشكل جيد هو أمر مثالي بالنسبة للمجتمعات، حيث يجد المرء طبقية Stratification - تامة بين المجموعات الاجتماعية. وغالبا ما كان عمل علماء اللغويات الاجتماعية مع ما يسمى بالمؤشرات الاجتماعية الاقتصادية "Socio-Economic Indices" والتي تجمع معلومات عن المهنة، والدخل، ومكان السكن، والتحصيل الدراسي؛ لكي يتم تحديد المكانة الاجتماعية⁽¹⁾.

ويذهب اللساني "بيتر ترادجل" إلى أنه إذا كنت من الناطقين بالانجليزية سيكون بمقدورك تقدير الوضع الاجتماعي النسبي للمتكلمين الآتين على أساس الجمل الآتية لا غير :

المتكلم "ب"	المتكلم "أ"
Idi dit yesterday.	I done it yesterday.
He hasn't got it.	He ain't got it .
It was her that said it.	It was her what said it .

عند الاستماع إلى هذين المتكلمين وهما ينطقان بهذه الجمل فإن المرء سيظن بان وضع المتكلم "ب" الاجتماعي أعلى من وضع المتكلم "أ"، وسيكون محقا في ذلك إلى حد ما إن هناك اختلافات نحوية بين الحديثين المذكورين تمدنا بمؤشرات حول الخلفية الاجتماعية لكل واحد منهما، ومن المحتمل كذلك أن تصاحب هذه الاختلافات تباينات صوتية "phonetic differences" وصواتية "phonological differences" أي أن هناك أيضا احتمالا بوجود "نبرات طبقية اجتماعية" مختلفة على الرغم من عدم إمكانية التنبؤ بوجودها من خلال رسم الكلمات. إن التمييز الداخلي للمجتمعات البشرية ينعكس على لغاتها. فالمجموعات الاجتماعية المختلفة تتحدث بأشكال مختلفة، وبصفتنا أعضاء متمرسين في عشيرة لغوية تعلمنا (وكذلك الشأن بالنسبة لمسافرنا بمقصورة القطار) تصنيف المتكلمين وفقا لذلك⁽²⁾.

(1) - معجم اللغويات الاجتماعية، جون سوانن وآخرون، مرجع سابق، ص353

(2) - ينظر بيتر ترادجل، السوسيو لسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، تر محمد كرم الدكالي، أفريقيا الشرق، ط01، 2017، الدار البيضاء، المغرب، ص33

ولقد ركز علماء اللهجات على لغة الريفيين وخاصة لغة المسنين منهم الذين لم يتلقوا تعليماً كافياً أو لم يسافروا كثيراً؛ والذين يعيشون في قرى منعزلة صغيرة. والقرى الصغيرة نفسها هي عبارة عن فضاءات مختلطة اجتماعياً بالطبع، لكن تجاهل هذه الحقيقة أسهل في القرى منه في المدن الكبيرة. ومع ذلك فمن الإنصاف القول أن هناك تفسيريْن إضافيْن اثنين للحافز الذي جعل علماء اللهجات يركزون على المناطق الريفية بهذا الشكل:

أولاً؛ لقد اهتموا بتسجيل عدد كبير من السمات اللهجية التي كانت في طريقها إلى الانقراض قبل أن تضيع إلى الأبد.

وثانياً؛ كان هناك شعور بأن اللهجات («الحقيقية») أو («الصرفية») التي كانت موضوع تحريف مستمر من قبل اللهجة المعيارية التي كان بإمكان عالم اللهجات اكتشافها، ووصفها لو كان ذكياً بما يكفي كانت مختبئة في مكان ما في لغة المسنين غير المتعلمين. (ويتضح أن اللهجة المتجانسة («الصرفية») تعتبر أيضاً، وإلى حد بعيد، مفهوماً خرافياً، فكل لغة خاضعة للاختلافات الأسلوبية والاجتماعية؛ لأن الجماعات البشرية مميزة وظيفياً، ومتباينة لدرجات متفاوتة، وكل اللهجات خاضعة للتحويل أيضاً لهذا السبب هناك عنصر تمييز حتى في اللهجة الريفية المحافظة). إلا أن علماء اللهجات أدركوا تدريجياً أنه بدراسة لغة الناطقين المسنين غير المتعلمين كانوا يحصلون على صورة ناقصة وغير دقيقة للغة المستعملة في مناطق مختلفة⁽¹⁾.

وإذا كان علينا إن نحصل على صورة صحيحة للعلاقة القائمة بين اللغة والتضيد الاجتماعي لا بد من توفر القدرة على قياس الظواهر الاجتماعية واللغوية معاً؛ حتى نستطيع الربط بين الاثنين على نحو دقيق، وفيما يتعلق بالطبقة الاجتماعية يمكن القيام بهذا العمل بسهولة نسبياً بواسطة المنهج المعتمد في علم الاجتماع والذي يقضي بإسناد قرينة عديدة لشخص ما على أساس خصائص مهنته ودخله وتربيته على أساس خصائص أخرى ثم ضمه إلى أشخاص لهم قرائن مماثلة (على الرغم من الجدل الذي قد يثيره تبرير إحداث مجموعات مختلفة). إما قياس اللغة فهو أكثر صعوبة والطريقة التي طورها لابوف وتبناها آخرون بعده تقضي بأن يأخذ اللساني سواء من دراسة سابقة أو بطريقة حدسية بوصفه ناطقاً فطرياً سمات لغوية معروفة بتنوعها داخل المجموعة التي تشملها الدراسة وقابلة للإحصاء بسهولة بطريقة أو بأخرى⁽²⁾.

(1) - ينظر السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، بيتر ترادجل، مرجع سابق، ص 36

(2) - نفسه، ص 42

خامسا نظرية بازيل برنشتاين عن اللغة والانتماء الاجتماعي

يعد اللساني البريطاني باسل برنشتاين "Basil Brenstein" أحد أبرز علماء الاجتماع اللغوي الذين كان تأثيرهم بالغاً في العالم في القرن الماضي^(*)؛ وعرف بأرائه اللسانية الاجتماعية بالأخص من خلال مؤلفه الشهير "اللغة والطبقات الاجتماعية" Langage et classes sociales. وقد أولى برنشتاين مسألة العلاقة بين اللغة والطبقات الاجتماعية أهمية كبيرة، وأفرد بحوثاً متعددة بين فيها تأثير الانتماء الطبقي في بنية اللغة والتفكير عند الأطفال والتلاميذ، وشكّلت الأبحاث التي أجراها نظرياً متماسكة في مجال علم الاجتماع اللغوي.

ويميز برنشتاين في دراساته وأبحاثه المعمّقة بين نمطين لغويين في إطار الثقافة العامة وهما:

- اللغة الرسمية وهي لغة رمزية مكتوبة، تتّصف بدرجة عليا من التسلسل المنطقي والتكامل الرمزي المجرد، وتوظّف في إطار المؤسسات الرسمية والتربوية.

- ويطلق على النمط الآخر اللغة العامية (المحكّية أو اللغة الدارجة) وهي لغة الاتّصال في الحياة العامّة وتتميّز بالسهولة والبساطة كما تتميّز بدرجة أدنى من التسلسل المنطقي والتجريد الرمزي؛ وتشتمل اللغة العامية على منظومة من اللهجات المختلفة فلكل فئة اجتماعية أو وسط اجتماعي لهجته الخاصّة وطرقه الخاصّة في التعبير والتواصل. إذ يمكن لنا أن نميّز في إطار الحياة الاجتماعية لغة الفلاحين ولغة العمّال ولغة الفئات المختلفة⁽¹⁾.

وقد قدم برنشتاين مساهمة كبيرة في دراسة التواصل مع نظريته اللغوية الاجتماعية لرموز اللغة، والتي تم تطويرها لشرح عدم المساواة على أساس الطبقة الاجتماعية كما هو موجود في استخدام

(*) - ولد باسل برنشتاين بلندن سنة 1924 من عائلة يهودية مهاجرة، عكست حياته العلمية حرصه على فهم العقبات التي تحول دون التقدم الاجتماعي. عمل في صغره في عديد الوظائف الفردية لدفع تكاليف دراسته في جامعة لندن حيث حصل على شهادة في علم الاجتماع. وفي عام 1960 بدأ دراساته العليا في الكلية الجامعية في لندن حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللغويات. ثم التحق بمعهد التربية والتعليم حيث أمضى حياته المهنية بأكملها، تدرج في مساره المهني من أستاذ مساعد إلى أستاذ في كرسي مانهايم. في معهد التربية كان أيضاً رئيساً لوحدة البحوث الاجتماعية، ونائب مدير البحث في الثمانينيات، وأستاذ فخري. استمر في كتابة العديد من المؤلفات حتى وفاته. حصل على عدد من درجات الدكتوراه التكريمية والجوائز، توفي عام 2001م للتوسع في سيرته ينظر:

revue trimestrielle d'éducation comparée (Paris, UNESCO : Bureau international d'éducation), vol. XXXI, n° 4, décembre 2001, p. 715-731.

(1) - ينظر علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي رؤية نقدية طروحات بازيل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية الرافدين، جامعة الكويت، جانفي 2013، ص 163 - 189

اللغة. وتتص النظرية على وجود رموز مفصلة ومقيدة ضمن فئة رموز اللغة الأوسع؛ وتوضح نظرية برنشتاين كيف يستخدم الناس اللغة في المحادثة اليومية مما يعكس افتراضات مجموعة اجتماعية معينة علاوة على ذلك، تؤثر العلاقات التي أقيمت داخل المجموعة الاجتماعية على طريقة استخدام تلك المجموعة للغة ونوع الكلام المستخدم. وتعتبر اللغة بالنسبة لبرنشتاين أداة حاسمة لأنها تعمل كوسيط للبنية الاجتماعية في النظرية العامة لنقل الثقافة⁽¹⁾.

ليؤكد برنشتاين بنظريته وجود علاقة مباشرة بين الطبقة المجتمعية واللغة؛ وفقاً لـ "Bernstein Codes and Control in Class (1971)": أشكال اللغة المنطوقة في عملية تعلمهم تبدأ وتعمم وتبرز أنواعاً خاصة من العلاقة مع البيئة، وبالتالي تخلق أشكالاً معينة من الأهمية (ص 76). وهذا يعني أن الطريقة التي تُستخدم بها اللغة داخل فئة مجتمعية معينة تؤثر على الطريقة التي يعين بها الناس الأهمية والمعنى للأشياء التي يتحدثون عنها، ويوافق (Littlejohn 2002) ويقول: "يتعلم الناس مكانهم في العالم بحكم رموز اللغة التي يستخدمونها" (ص 178). إن الرمز (code) الذي يستخدمه الشخص يرمز بالفعل إلى هويته الاجتماعية (برنشتاين ، 1971) ⁽²⁾.

ويعود التباين اللغوي بين الأفراد في رأي برنشتاين إلى التباين في أنماط الحياة الاجتماعية، وإلى التباين في أنماط التفكير والتصورات التي تحيط بكل فئة اجتماعية محددة. فتمط الحياة والتفكير عند الفلاحين يختلف عنه عند العمال أو الفئات الاجتماعية الوسطى. والسؤال الأساسي الذي يطرحه برنشتاين هو: ما طبيعة العلاقة القائمة بين التحصيل المدرسي والتباين اللغوي؟ ومن أجل الإجابة عن هذا التساؤل يبين برنشتاين أن اللغات العامية تتقارب أو تتباعد بدرجات مختلفة عن اللغة المدرسية، وهذا يعني في النهاية أن اللغة العامية الأكثر تجانساً مع اللغة المدرسية هي اللغة التي تتيح لأفرادها الفرص الأفضل للنجاح والتفوق المدرسي. وعلى العكس من ذلك كلما تباينت درجة التقارب بين لغة الوسط ولغة المدرسة كلما تقلصت فرص النجاح المدرسي عند الأطفال. ⁽³⁾

كان الفحص التجريبي الأكثر شمولاً لنظرية الكود لبرنشتاين هو مشروع مدته 10 سنوات أجرته رقية حسن في جامعة ماكواري؛ حيث جمعت البيانات من السياقات اليومية للتفاعل بين الأمهات والأطفال عبر موقعين اجتماعيين، تم تعيينهم على أنهم "متخصصون في الاستقلالية العليا" (العائلات

(1) - revue trimestrielle d'éducation comparée (Paris, UNESCO : Bureau international d'éducation), vol. XXXI, n° 4, décembre 2001, p. 715-731.

(2) - ibid , p 715-731.

(3) -ينظر علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي رؤية نقدية طروحات بازيل برنشتاين، مرجع سابق، ص 163

التي يتمتع فيها العائل الرئيسي باستقلالية كبيرة في يوم عملهم) و"المهنيين الأقل استقلالية" (العائلات التي كان العائل الرئيسي فيها لديه لا توجد استقلالية أو استقلالية قليلة جداً فيما يتعلق بيوم عملهم). وجدت رقية حسن اختلافات كبيرة في طرق تفاعل هذه العائلات، وأظهر على عكس ويليام لابوف، وجود ما سماه بـ "التباين الدلالي" - أي طرق مختلفة للقول لها نتائج على طرق مختلفة للمعنى وتجادل بأن هذه الاختلافات في التوجه إلى الملائمة هي التي فسرت الاختلافات في الإنجازات التعليمية بين أطفال الطبقة المتوسطة والعاملة التي لاحظها برنشتاين لأول مرة في السبعينيات⁽¹⁾.

وانطلاقاً من العلاقات الطبيعية بين الوضع الاجتماعي "la situation sociale" والتركيب السلوكي العام والسلوك اللغوي، فقد اكتشف برنشتاين نظرية الأشكال الطباقية للسلوك اللغوي التي لقيت رواجاً كبيراً ليس في بريطانيا وحدها بل في ألمانيا أيضاً، وفي هذه النظرية استطاع أن يرصد في الإنجليزية ضربين مختلفين من الأسلوب الكلامي؛ ربطهما بطبقة اجتماعية محددة للعلاقة الوثيقة التي لاحظها بينهما، وبين نوع الطبقة الاجتماعية المستعملة لكل نوع منهما، ولم يلبث أن ألحق صنفى السلوك الكلامي المشار إليهما بتصنيف اجتماعي عام قسمه إلى طبقتين هما⁽²⁾:

- الطبقة المتوسطة "la classe moyenne"

- والطبقة العاملة "la classe ouvrière"

ولأسلوب كلام الطبقات الذي وصفه بالنظام المحصور خصائص نوجز منها - خبرة مفردات أقل فاعلية.

- الترابط الغالب على الكلمات هو الترابط على المستوى التجاوري الأفقي.

- بنى جمالية قصيرة وبسيطة نحويًا وناقصة في الغالب، وفي صيغة المبني للمعلوم على الأكثر.

- الاستعمال المتكرر للمفردات نفسها، وتكرار الهياكل الجمالية نفسها.

- الاستعمال الغالب للعبارات الجاهزة وللأمثال المتداولة التي غالباً ما تأتي لتفسير جملاً أخرى

(1) - revue trimestrielle d'éducation comparée (Paris, UNESCO : Bureau international d'éducation), vol. XXXI, n° 4, décembre 2001, p. 715-731.

(2) - ينظر : نحو نظرية أسلوبية لسانية فيلي سانديرس، مرجع سابق، ص354

الدرس الخامس

التابوهات (المحرمات) اللغوية

أولا التابوهات اللغوية (المفهوم والدلالة)

ثانيا التابوهات اللغوية في التراث اللغوي العربي

ثالثا. أسباب التابو اللغوي ودوافعه

رابعا. مجالات التابوهات اللغوية

خامسا التخلص في التعبير من التابو اللغوي إلى التلطف اللغوي

أولا التابوهات اللغوية (المفهوم والدلالة)

تعد ظاهرة التابوهات اللغوية "Tabou linguistique" من أهم الظواهر اللغوية التي تميز جميع اللغات الإنسانية - بما في ذلك اللغة العربية- فلا تخلو لغة من ألفاظ وتراكيب لغوية؛ ترى الجماعة اللغوية التي تستعمل تلك اللغة أنها غير مقبولة اجتماعيا، أو أنها تخدش الحياء العام، أو تجرح الشعور، أو تنافي الذوق العام، أو تتعارض في مدلولها مع معتقدها الديني أو عرفها الاجتماعي أو سوى ذلك من الموانع فيحظر استعمالها في التواصل اللغوي أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي؛ فإن استعملت اعتبر ذلك خروجاً عن الآداب العامة للجماعة اللغوية

إن أهمية هذه الظاهرة وشيوعها في كل الألسن البشرية هو ما جعل منها موضع اهتمام للدراسات اللغوية التراثية قديماً، وفي الدرس اللساني الاجتماعي المعاصر؛ يقول اللساني الانجليزي ليونز: (إن الدور الذي تلعبه التابوهات الاجتماعية Social Taboos في السلوك اللغوي تدخل في إطار علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics)⁽¹⁾. ويرى ل. هيدسون: (إن قضية المحظورات اللغوية ... تستحق المزيد من البحث الجاد من قبل علماء علم اللغة الاجتماعي، فهي قد تخبرنا بالكثير عن اللغة وعلاقتها بالمجتمع)⁽²⁾.

ويطلق على التابوهات اللغوية يقابلها في الأجنبي "Tabou linguistique" عدة اصطلاحات نذكر منها؛ التابو اللغوي أو الطابو اللغوي، المحرمات اللفظية، المحظور اللغوي، والمحرم اللغوي، واللامساس، المناهي اللفظية، الممنوعات اللغوية، الكلام الحرام، واللفظ الخسيس، والكلمات المفضوحة، أو المستهجنة، وما يُستقبح ذكره، والكناية، والتعريض، والتورية، والرمز، والإشارة، والمحسن اللفظي، والإشارة، والتلطف، والتنزه، واللائق وغير اللائق من الألفاظ وغيرها من المسميات التي عُرفت عند العلماء العرب القدامى والمحدثين؛ وهي متمكنة في مؤلفاتهم وبحوثهم.

وأما من حيث الاصطلاح فقد عرف "جون دييوا" المحظورات اللغوية في قاموسه بقوله: تفرض القيود الاجتماعية الميل إلى منع استخدام كلمات معينة؛ وتتصف هذه المحرمات اللغوية بحقيقة أن الكلمة موجودة ولكن لا يمكن استعمالها؛ وعدم احترام هذه المحرمات اللغوية يقود المتحدثين إلى اعتبار بعض الجمل غير مقبولة، ويعتبر الاعتراف بها ذا أهمية كبيرة للدارس المحقق الذي يحاول فهم مجموعة من اللغة. في ثقافات المجتمعات في البلدان المتقدمة، هناك أيضاً كلمات محظورة (محرمات

(1) جون لوينز، اللغة وعلم اللغة، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، ط1987، 01، القاهرة، مصر، ص205

(2) علم اللغة الاجتماعي، ل. هيدسون، تر: محمود عياد، مرجع سابق، ص88.

جنسية، محرّمات دينية، محرّمات سياسية): وانتهاك المحظورات يؤدي إلى رفض المتحدث من المجموعة الاجتماعية أو على الأقل، الاستهلاك الذي يعلّق بعد ذلك على سلوكه (1).

-أما دافيد كريستال فتحدّث عما وصفه بـ اللغات المتجنّبة هذا المصطلح الذي يستخدم لوصف المحرّمات الاجتماعية في اللغات التي تسمح بالاتصال بين شخص وآخرين موجودين معهم، وهناك من يطلق عليها أحياناً بشكل فضفاض لغات محرّمة أو لغات محظورة. ويتعلّق المفهوم بشكل رئيسي بلغات السكان الأصليين الأسترالية، حيث قد تكون هناك محرّمات صارمة بين بعض الأقارب، مثل الرجل وأهله والدة الزوجة وأعمامها. في Dyirbal، على سبيل المثال، تُعرف اللغة اليومية باسم Guwal، وتُعرف لغة التجنب باسم Dyalnguy، والتي سيّتم استخدامها كلما كان قريب من المحرّمات في مرمى السمع (2).

-وجاء في تعريفها في معجم آخر تحت مسمّى الكلمات المحرّمة "taboo" هي الكلمات التي يتمّ تجنبها من قبل بعض المتحدثين أو في سياقات معينة. وقد تشمل كلمات بذيئة، وكلمات أخرى تشير إلى الممارسات الجنسية، والشتم...إلخ. يمكن تبرير تجنبها لعدد من الأسباب، بما في ذلك المبادئ الدينية أو الأخلاقية أو الجمالية. ما يعتبر محرّماً سيختلف في سياقات ثقافية مختلفة، وبالتالي فهو بمثابة مؤشر على القيم الاجتماعية أو الثقافية. المحرّمات في بعض الأحيان سمة من حالات الاتصال اللغوي، حيث يمكن للمتكلّمين تجنب كلمة في لغة واحدة؛ لأنها تحمل تشابهاً صوتياً لكلمة تعتبر مبتذلة أو فاحشة في لغة أخرى (3).

يستخلص من هذه التحديدات الاصطلاحية للظاهرة المحظورات اللغوية ما وصفها بها اللساني العربي هادي نهر بقوله إنها مجموعات من الألفاظ الحقيقية، أو المجازية التي يحظر استعمالها في سياقات تواصلية معينة، لأسباب اجتماعية، أو أخلاقية، أو ثقافية، أو ذوقية، أو نفسية، أو لغير ذلك. ومعنى هذا أنّ هذه الألفاظ ممّا تنفر من سماعها الطباع السليمة، لكونها سوقية جارحة للذوق، تنبئ عن دلالات مكشوفة، مستهجنة ممّا يدعو إلى إيجاد معادل لفظي محسّن ومقبول بديل عما يُحظر استعماله يُسمّى (المحسن اللفظي) (4).

(1) - Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, 1991, p476.

(2) - Crystal, D., a Dictionary of Linguistics and Phonetics, (avoidance languages), p46

(3) معجم اللغويات الاجتماعية، جون سوانن وآخرون، مرجع سابق، ص389، 388

(4) ينظر هادي نهر، المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة، موقع نهج البلاغة؛ تاريخ الاطلاع

عليها 15 ماي 2021، من خلال الرابط الإلكتروني <https://arabic.balaghah.net/content>

ثانياً. التابوهات اللغوية في التراث اللغوي العربي

لقد أولى علماء العربية القدامى هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية عنايتهم البالغة؛ ذلك أنها ترتبط بحياتهم الاجتماعية اليومية؛ وقد أدركوا من خلال عقيدتهم مجسداً في اشتغالهم بتفسير النص القرآني ونص الحديث النبوي الشريف كيفية الاحتراز من الألفاظ التي تخدش الحياء، وتمس بالآداب العامة؛ وقد دعته عقيدتهم الإسلامية إلى تجنب اللغو، والفاحش من الكلام؛ ولا نجد أبلغ من القرآن الكريم في تجنب المحظور اللغوي في مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف 24]؛ فالموقف في واقع الحال يصف مراودة امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام؛ بذكر محاسنها له، وشوقها له. فهل نجد أي شيء من هذا الكلام؛ فهناك تأدب في وصف الموقف، وعدم استثارة للغرائز وقد شمل الحديث عن هذه الظاهرة اللغوية مجمل علوم اللغة العربية؛ وسأشير فيما يأتي إلى بعض علماء العربية الذين عرضوا لهذه الظاهرة في مؤلفاتهم:

-لقد لفت إليها العالم اللغوي الفراء (ت 207 هـ) إمام مدرسة الكوفة في أكثر من موضع في كتابه المشهور "معاني القرآن" في مثل تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]؛ قائلاً والمعنى في قوله (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) إِنَّا ضَالُونَ أَوْ مُهْتَدُونَ، وإنكم لضالون أَوْ مُهْتَدُونَ؛ وهو يعلم أنه الرسول المهتدي وأن غيره الضال (الضالون)؛ فأنت تقول في الكلام للرجل، إن أحدنا لكاذب؛ فكذبه تكذيباً غير مكشوف وهو في القرآن وفي كلام العرب كثيراً أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف ومن كلام العرب أن يقولوا قائله الله ثم يستبجحونها، فيقولون كاتعه، ويقولون جوعاً دعاء على الرجل، ثم يستبجحونها فيقولون جوداً) (1).

-وقد تطرّق الجاحظ (ت 255 هـ) في البيان والتبيين إلى أسباب الحظر اللغوي في منظور أقرب إلى اللساني النفسي الاجتماعي: كالفأل، والطيرة، والتأدب، والتلطف، واستقباح اللفظ، وسلوك العرب في ألفاظ الوحش، ووضّح أثر الإسلام في ضبط الألفاظ العقدية (2).

-أما أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد (ت 285 هـ) فيبدو حديثه عن المحظور اللغوي في كتابه "الكامل في اللغة والأدب" في سياق حديثه عن الكناية، وقد قسمها إلى ثلاثة أنواع:

(1) الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، دار المصرية، القاهرة، مصر، ج 02، ص 362

(2) -ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 07، 1998، القاهرة، مصر،

أحدها: التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ بَلِمَ ❖ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمِّمٍ

وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية:

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنْتِي ❖❖❖ بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمٍ

و ثانيها: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدلّ على معناه من غيره كقوله تعالى في المسيح وأمه: ﴿كَأَنَّا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة 75] وهو كناية عن قضاء الحاجة (1).

-وأقام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ) كتابه " الملاحن" من خلال النظر في هذه المحظورات وكيف يحسن المتكلم التخلص من ألفاظها.

-والكناية عند ابن جني (ت392هـ) عقد لها بابين في خصائصه: أحدهما: أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسناً للفظ، أو إكراماً للمذكور.

-ووضح الثعالبي (ت430هـ) في كتبه عن " الكناية والتعريض" إلى المحظورات التي يُستهجن ذكرها، ويستقبح نشرها، فتحسّن بألفاظ ((مقبولة تؤدّي المعنى وتفصح عن المغزى، وتحسّن القبيح، وتلطّف الكثيف)).

-وقد وسّع الجرجاني، أبو العباس أحمد (ت482هـ) في كتابه (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) أبواب الكنايات والتعريضات، وادخل فيها كلّ ما تكني عنه العرب محظوراً لفظه أو غير محظور، فالغرض من الكناية كما هو معروف ليس تحسين القبيح من الألفاظ بل تهذيب المعنى باللفظ الرشيق واللطيف .

وقد عرض للمحظورات اللغوية غير هؤلاء كثير. ومن ذلك؛ الطبري (ت310هـ)، ابن وهب (ت335هـ)، أبو هلال العسكري (ت395هـ)، ، ، . فإذاً حينما ننظر إلى هذا الكم الهائل من المؤلفات التي عرضت للمحظورات اللغوية بصورة مباشرة أو من خلال إشارات متفرقة ليمدنا برصيد معرفي لغوي شاسع ومتنوع؛ فإنه بإمكان الدارس اللساني العربي الحديث أن يجعل منها زادا لسانيا معرفيا ينطلق منه اليوم في تحليل مختلف جوانب هذه الظاهرة في واقعه اللغوي

(1) -ينظر المبرد ، الكامل في اللغة والأدب، عالم الكتب د.ط.ت، القاهرة، مصر، مج 02، ص150

ثالثاً أسباب التابو اللغوي ودوافعه

هناك عدة أسباب تجعل لفظاً معيناً من المحظور اللغوي في العربية، بينما توجد عبقرية متحدثيه بلفظ آخر يكون بديلاً حسن له، ومرد هذا الأمر إلى ثقافة متحدثي اللغة العربية؛ وذلك لأن اللغة تتأثر بثقافة الأمة وتقليدها وعاداتها ومعتقداتها، كما أنها تشكل جزءاً من الوعي للجماعة اللغوية، فثقافة الأمة تؤدي دوراً مهماً في صياغة ذلك المحظور اللغوي، وإيجاد البديل اللفظي المقبول لدى الجماعة اللغوية؛ ومن أسباب المحظور اللغوي التي رصدها الباحثون وتوسع فيها في هذا المجال فمنها؛ ما هو ديني، ونفسي، واجتماعي، وسياسي، وتدرج تحت كل سبب منها مجموعة من الدوافع، وقد تتداخل هذه الأسباب فيما بينها جميعها؛ ذلك لأنها مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، يجعل كلا منها قد يكون سبباً للآخر⁽¹⁾، ويجمال بعض اللغويين العرب المعاصرين هذه الدوافع فيما يأتي:

1. الخوفُ والفرعُ

تتجنب بعض المجتمعات استخدام بعض الألفاظ بدافع الخوف؛ ومثال ذلك ما يعرف عن عدول اليهودي عن نطق اسم "الله مباشرة واستعمالهم لكلمة السيد "Master"، ولم يقتصر الحظر على اللغة العبرية فقط وإنما انتقل إلى اللغات الأوروبية، مثل الانجليزية التي تستعمل كلمة "Lord"، والفرنسية التي تستعمل كلمة "Seigneur"، والألمانية التي تستعمل كلمة "Herr" بمعنى الله وقد حدث ذلك بتأثير عملية الترجمة من العبرية إلى اليونانية ومنها إلى اللغات الأوروبية.

ومن المعاني التي تثير الفرع والخوف عند الإنسان أيضاً الحديث عن الموت والمرض؛ ففي الانجليزية يرى "ستيفن أولمان" أنها عدلت عن كلمة "Adlle" بمعنى مرض؛ والتي تعني في نفس الوقت قذارة "dirt" إلى الكلمة الحسية "discase" والتي تعني فقدان الراحة "Lack of case" أو غير مريح "uneasness" وذلك للإشارة إلى المرض "illness"⁽²⁾.

2. الكياسة والتأدب

يعمد الإنسان عندما يتحدث مع غيره أو عن غيره من الناس إلى تجنب الكلمات المؤلمة، أو الجارحة للشعور واستعمال كلمة بديلة محسنة؛ كالحديث عن عدم تقديره لعواقب الأمور، أو عدم

(1) -ينظر الرشيد يوسف محمد عباس، عبقرية اللغة العربية في التعبير عن المحظور اللغوي دراسة لغوية، كتاب

المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، المجلس العالمي للغة العربية، بيروت، لبنان، ص 162

(2) -ينظر كريم زكي حسام الدين، المحظورات اللغوية، المكتبة الانجلو مصرية، ط1، 01، 1985، القاهرة، مصر،

حسن تصرفه ومن ذلك ما ذكره الثعالبي من قول الحجاج بن يوسف لأم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عمدت إلى مال الله فوضعت تحت ذلك وكره أن يقول تحت استك حذرا من أن يكون قذعاً ورفثاً كما عيب به عبد الله بن الزبير لما قال لامرأة عبد الله بن خازم اخرجي المال الذي تحت استك فقالت ما ظننت أحدا يلي شيئا من أمور المسلمين فيتكلم بهذا⁽¹⁾.

3. الخجل والاحتشام

يمثل الشعور بالخجل دافعا مهما من الدوافع التي تجعل المتكلم يعدل عن النطق ببعض الكلمات التي تتصل في أغلب الأحيان بالأمور الجنسية، أو ذكر بعض أجزاء معينة من الجسم، أو التعبير عن قضاء الحاجة

إن المتحدث بالفرنسية يتجنب الفعل "Baiser" بمعنى يقبل ويستعمل فعلا محسنا هو "Embrasser" بمعنى يحتضن، كما قد يتجنب أيضا استعمال كلمة "Fille" على ابنه ويستخدم تعبيراً محسنا هو "Jeune Fille" لأن الكلمة الأولى لفظة محسنة بمعنى "Prostituée" أي عاهرة، كما تعرف العربية محسنا لذلك هو بائعة الهوى⁽²⁾.

رابعا مجالات التابوهات اللغوية

تشيع المحظورات اللغوية ألفاظا وتراكيبا لغوية في مختلف مجالات الحياة اليومية للإنسان، لكن هناك ميادين تبرز فيها بوضوح؛ وقد رأينا سابقا جون ديبوا في تعريفه كيف حددها في ثلاثة مجالات رئيسية هي؛ محظورات لغوية جنسية، محظورات لغوية دينية، محظورات لغوية سياسية⁽³⁾؛ وانطلاقا من هذا التقسيم؛ سنفصل فيها بعض الشيء كالآتي:

1. تابوهات لغوية جنسية

تعد الألفاظ التي تشير إلى الحقل من أكبر المجالات للمحظورات اللغوية؛ والمتصفح لكتب التراث اللغوي العربي يجد أنها أفردت أبوابا مفصلة لهذا الجانب؛ من ذلك ما نجده في كتاب الكناية والتعريض للثعالبي حيث خصص الباب الأول منه للحديث عن الألفاظ التي يتلطف بها عن الأمور الجنسية؛ وسمى هذا الباب في الكناية عن النساء والحرم؛ ومن فصوله؛ في الكناية عن المرأة، وفيما

(1) الثعالبي، الكناية والتعريض، تح أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، ط01، 1997، القاهرة، مصر، ص22

(2) - ينظر المحظورات اللغوية، كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق، ص51

(3) - Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique, p476.

يقع في الكناية عن الحرم، وفي الكناية عن عورة المرأة، وفي الكناية عن عورة الرجل، وفي الكناية عما يجري الرجال والنساء، وفي الكناية عن الحيض⁽¹⁾.

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المجال أحسن تعبير؛ و من المحسنات اللفظية التي استخدمها القرآن الكريم للعلاقة الشرعية بين الزوجين الرفث، واللبس، والملامسة، والاستمتاع، والإفضاء، كما في قوله تعالى: ﴿ أَجَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَابَسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَابَسُ لَهُنَّ ۗ ﴾ [البقرة: 187] وفي قوله تعالى ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء: 43] وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء: 24] وفي قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: 21]

ونذكر أنه في اللسان الجزائري العامي يميل المتكلم إلى التلطف في الحديث عن المحظور اللغوي الجنسي؛ فينتقي الألفاظ البديلة عنه بعناية كبيرة تأديبا واحتراما للذوق العام؛ كأن يصف الزواج بالستر عن الرجل والمرأة؛ أي يسترهما من الوقوع في الفاحشة؛ ويصف المرأة الحائض بالمريضة، أو كأن يصف ما يحدث بين الزوجين؛ بالنوم في الفراش وسواهما .

2 . تابوهات لغوية دينية

يمثل الجانب الديني بعدا مقدسا في كل المجتمعات الإنسانية لا يمكن المساس به، وهو ما ينعكس على لغاتها في ألفاظها وتراكيبها، ويبرز هذا من خلال التأديب في استعمال ما يرتبط بالدين والعقيدة؛ إذ تتميز بأنها ذات أحكام خاصة في الاستعمال والحظر، أهمها الكلمات الدينية، ومن هذه الألفاظ لفظ الجلالة «الله»، ثم تليه الألفاظ الدالة على أسماء الملائكة، وأسماء الرسل والأنبياء، فكل لها أحكام خاصة في الاستعمال اللغوي.

يرى اللغوي العربي حسن خميس الملقح أن مجال الحاظور اللغوي الديني ينعكس على المستوى النحوي للغة العربية؛ فقد (صارت اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها تُرجمان الإسلام ولغةً خطابيه؛ وصار من الضروري عند المسلمين أن تتواءم مضمانيهم مع أحكام الشرع الإسلامي حلالاً وحراماً وكراهةً، كما صار من الضروري مراعاة أحكام الإسلام عند التصرف النحوي في أنحاء العربية؛ ذلك أن الدين قيد على الجوازات النحوية عندما تتعارض معه لوجود الأسماء المعظمة التي ينبغي إيرادها في الكلام على الوجه النحوي اللائق بها، كلفظ الجلالة "الله"، وأسماء الله الحسنى وصفاته،

(1) - ينظر الكناية والتعريض، الثعالبي، مرجع سابق، ص، ص 09 - 45

وأسماء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يكون هو المقصود بها، وأسماء القرآن الكريم، وبالجملة فما عظمه الشرعُ وجَبَ إيرادُه في النحو على ما لا يُنْقِصُ من قدره؛ ذلك أن المواقع النحوية في غير المسند إليهم معان؛ لهذا اشترط السيرافي عدم استعمال المعاني التي لا تجوز على الله وصفاته) (1).

3 . تابوهات لغوية سياسية

ترتبط المحظورات اللغوية بالسياسة ارتباطاً وثيقاً؛ من حيث أن اللغة أداة تسخر للخطاب السياسي؛ ومرآة عاكسة للواقع السياسي في كل المجتمعات الإنسانية؛ فلغة هي (وسيلة الاتصال الأولى بين السلطة والجمهور؛ لما يتوفر بها من عوامل الإدراك الفوري سريع الفهم والتأثير والإقناع، وما تقوم به اللغة من أثر واضح في توجيه حياة الشعوب نحو أهداف السلطة، بما تتضمنه من دلالات وأفكار وأدوات تأثير، ومن ثم يستخدمها السياسيون في التأثير في الجمهور، وإقناعه وتوجيهه نحو أهدافهم، كما تعبر اللغة عن اتجاهات السلطة وأهدافها، وتعكس أحوال المجتمع السياسي) (2). فاجتباب المحظور اللغوي السياسي؛ فيما يعنيه عدم التعرض والمساس بما يمكن أن نسميه بالمقدس أو الرمز السياسي في أي بلد من البلدان من نحو؛ العلم الذي يرمز لوحدة البلد وسيادته، وقوانينها التشريعية (الدستور) التي تحفظ نظامها، ومؤسساتها الرسمية التي تضمن وحدة كيانها، وسواها من الجوانب

وقد رأينا في التراث العربي الإسلامي تلك العناية التي أولاها كثير من الكتاب لما عرف في باب التأليف بـ "الآداب السلطانية" هذا النمط من الكتابة الذي يبحث في العلاقة بين الحاكم والمحكوم؛ وكيف يخاطب العامة الخاصة وذوي السلطان؛ وكيفية التلطف في مخاطبتهم، وما يجب أن يكون من حال عندما يقدم بين أيديهم.؛ ومن هذا القبيل ما ذكر عن الخليفة المنصور؛ أنه كان في بستان ومعه الربيع فقال له ما هذه الشجرة؟ قال شجرة طاعة يا أمير المؤمنين، وكانت شجرة خلاف، فثناء المنصور بذلك وعجب من ذكائه ومن ذلك أيضاً ما حكى عن الخليفة هارون الرشيد الذي كان في يده يوماً حزمة من خيزران، فقال لبعض أصحابه، ما هذا؟ فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وتجنب أن يقول خيزران لموافقة ذلك اسم والدة الرشيد (3).

(1) حسن خميس الملقح، المحظورات النحوية في اللغة العربية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:39،

ع:02، 2012، عمان، الأردن، ص265

(2) محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات،

ط01، 2005، القاهرة، مصر، ص05

(3) -ينظر الكناية والتعريض، الثعالبي، مرجع سابق، ص 149

خامسا التخلص في التعبير من التابو إلى التلطف

عرضت فيما سلف للمحظور اللغوي في دلالاته ودوافعه ومجالاته؛ إدراكا لأهمية هذه الظاهرة في بعديها اللغوي والاجتماعي ولكن التساؤل الذي قد يطرح في هذا السياق؛ وما السبيل لتجنب المحظور اللغوي في كلامنا في تفاعلنا الاجتماعي اليومي؟ وكيف اصطلاح الدارسون على هذا النهج اللغوي الذي نتخلص في تعبيرنا من التابو اللغوي؟

لعله من البديهي أن من سبل تحقيق نجاعة الكلام في أي سياق تخاطبي كان؛ هو تجنب المحظور اللغوي، فهو يقلل من شأن المخاطب، وينعكس سلبا عليه؛ ذلك ما يمكن أن نستشفه من إيضاح اللساني الانجليزي جون ليونز في البحث التاريخي للمفردات مدى أهمية عامل لطف التعبير (عن شيء بغيض) -تجنب كلمات التابو- في تغيير المعنى الوصفي للكلمات؛ وهو ما يتضمن اعتمادا تزامنيا بين كل من المعنى الوصفي والمعنى غير الوصفي⁽¹⁾، ويتخلص في اللغة العربية من استعمال المحظورات اللغوية بالانتقال إلى ما يعرف بـ "أسلوب التلطف اللغوي-بالأجنبي" euphemism فماذا يراد بأسلوب التلطف اللغوي؟

- جاء في مقاييس اللغة في مادة (لطف) اللام والطاء والفاء أصل يدل على رفق؛ ويدل على صغر في الشيء. فاللطف الرفق في العمل؛ يقال هو لطيف بعباده أي رؤوف رقيق⁽²⁾.

- وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ): (ومن المجاز... وتلطفتُ بفلان: احتلتُ له حتى اطلعتُ على أسرارهِ)⁽³⁾.

- وفي لسان العرب قال ابن منظور: (قَالَ أَبُو عَمْرٍو: اللَّطِيفُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَيْكَ أَرَبِكَ فِي رِفْقٍ ، وَاللُّطْفُ ... وَاللُّطِيفُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا غَمُضَ مَعْنَاهُ وَخُفِيَ).⁽⁴⁾

- وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية، والتلطف في قوله تعالى ﴿ فَلْيَاْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [الكهف: 19]. أي؛ وليترفق في الحصول على ما يريد⁽⁵⁾

(1) - اللغة وعلم اللغة، جون لوينز، مرجع سابق، ص205

(2) - ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (لطف)

(3) - ينظر أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (لطف)

(4) - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (لطف)

(5) - ينظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفين، مادة: لطف).

يستخلص من هذه التحديدات اللغوية أن اللطف يحمل معنى عام وشامل هو الرفق واللين والرفافة في طلب الشيء وقد أخذ أسلوب التلطف اللغوي حيزاً معتبراً في التحديدات الاصطلاحية المعاصرة نذكر منها

-عرّف اللساني ستيفن أولمان "Stephen Ullmann" (ت 1976م) أسلوب التلطف اللغوي بأنه: وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعته، ويرى أنّ دوافع التلطف (حسن التعبير) دوافع نفسية، وأنّ المتكلم يعتمد إلى استعمال هذا الأسلوب مع كل شيء مقدس أو ذي خطر، أو مثير للرعب والخوف، كما يطبقه على الأشياء الشائنة، أو غير المقبولة لدى النفس⁽¹⁾.

-و عرّف أحمد مختار عمر أسلوب التلطف اللغوي بأنه: إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة أو أكثر قبولاً⁽²⁾.

-وقد عرفه كريم زكي حسام بوصفه تحسين اللفظ⁽³⁾.

يستخلص من هذه التحديدات الاصطلاحية أن أسلوب التلطف نهج خطابي للتخلص من المحذور اللغوي؛ وذلك باستعمال لفظ أو تركيب لغوي بديل عن هذا اللفظ المحذور، وتكون السمة البارزة لهذا الأسلوب صفة الحسن والقبول من الجماعة اللغوية

وفي اللغة العربية نعبّر (عن الأفعال التي تُستر عن العيون، وتتأذى منها النفوس بألفاظ تدل عليها غير موضوعية لها، تنزهاً عن إيرادها على جهتها وتحرّزاً عما وُضِع لأجلها إذ الحاجة إلى ستر أقوالهم كالحاجة إلى ستر أفعالهم فيتحرزون عن التصريح بالتعريض فيكونون عن لفظه، إكراماً لأنفسهم عن التلفظ به⁽⁴⁾).

وفي القرآن الكريم كثير من أساليب التلطف، وكريم العبارات، ونبيل الألفاظ وحسن التعبير من نحو: الرفث، والملامسة، والتماس، والإفضاء، والحرث، كنايات عن العملية الجنسية. والإعراض عن المحذور اللغوي ليس وقاراً متصنعاً، وإنما هو حاجة لربط المقام بالسياق في أحوال تواصلية معلومة،

(1) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، 1975، القاهرة، ص 196

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 05، 1998، القاهرة، ص 265

(3) ينظر كريم زكي حسام، المحظورات اللغوية، مرجع سابق، ص 17

(4) ينظر هادي نهر، المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة، موقع نهج البلاغة؛ تاريخ الاطلاع

عليها 15 ماي 2021، من خلال الرابط الإلكتروني <https://arabic.balaghah.net/content>

ولذلك نجد أنّ بعض الألفاظ المحظورة لا يقبح ذكرها في كلّ سياق، فعلى الرغم من أنّ القرآن الكريم يلزمنا بأدب القول، والابتعاد عن سوء الكلمة:

- إذ يقول تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: 53]

- وأنه تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾ [النساء: 148]

- ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 18]

- وينهى تعالى عن التنابز بالألقاب ﴿ وَلَا تَتَّابِرُوا بِالْألقَابِ بِشَرِّ الأَسْمِ الفُسُوقُ بَعْدَ الأِيمَانِ ﴾ [الحجرات: 11].

ومعنى هذا أيضاً أنّ الحظر يخضع لاعتبارات أخلاقية ذوقية نفسية ((فلأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكونون عنها، ويدلّون عليها بالرموز، فيذكرون ما يقاربها وينطق بها)). ((فالألفاظ لا تقبح لذاتها، بل اتفاق الجماعة اللغوية على عدّها قبيحة، أو حسنة هو ما يكسبها هذا الوصف فمدار الأمر على العرف الاجتماعي)).⁽¹⁾

(1) ينظر هادي نهر، المحظورات والمحسنات اللغوية التركيبية في نهج البلاغة، موقع نهج البلاغة؛ تاريخ الاطلاع

عليها 15 ماي 2021، من خلال الرابط الإلكتروني <https://arabic.balaghah.net/content>

الدرس السادس

اللغة والجنس

أولاً. الجنس في البحث اللساني الاجتماعي

ثانياً. الجنس في اللغة العربية

ثالثاً. الجنس واللغة والسياق الاجتماعي

رابعاً. الجنس بين المحذور اللغوي والتلطف في التراث اللغوي العربي

أولا الجنس في البحث اللساني الاجتماعي

اتجهت الدراسات اللسانية المعاصرة إلى التأكيد على أهمية البحث في اللغة في بعدها التفاعلي الاجتماعي؛ ما دامت الوظيفة الأولى لكل اللغات الطبيعية هي الوظيفة التواصلية؛ فحللت عناصر الحدث اللغوي ومكوناته؛ انطلاقاً من هذه الوظيفة المهمة، وإرساء لأسس منهج لغوي متكامل لا يفتقر المعطى السياقي الخارجي كان تركيز الدراسات اللسانية الاجتماعية الأساس على عناصر السياق في جانبيه اللغوي والمقامي؛ وأهم عنصر في ذلك على وجه الخصوص هو؛ المرسل ومرسل إليه في سياق الحدث اللغوي الفعلي (من نحو؛ المحادثة والحوار مثلاً)، بما يحملان من مؤشرات مقامية عن الخلفية الاجتماعية لكل واحد منهما؛ كالعمر، والسن، والجنس، والوظيفة .

ولا يختلف اثنان في أن جنس المُخاطَب والمُخاطَب (مُذكرًا أو مُؤنثًا) في العملية التخاطبية يمثل أحد جوانب الاهتمام البارزة في المقاربة اللغوية التواصلية الاجتماعية؛ ذلك أن اللغة في الاستعمال تختلف باختلاف جنس المستعمل لها؛ وقد لاحظ الدارسون؛ (إنه من الفروق الملحوظة بين الجنسين؛ أي المذكر والمؤنث، إن أصوات الإناث أكثر حدة وأعلى طبقة من أصوات الرجال؛ وذلك لأسباب بيولوجية معروفة، كما إن النساء أكثر وضوحاً في النطق من الرجال، وأكثر منهم حرصاً على النطق السليم للمفردات والجملة والنساء أيضاً محافظات في استعمال اللغة أكثر من الرجال، ويستعمل النساء بعض المفردات التي لا يستعملها الرجال عادة، من ذلك استعمالهن لعدد كبير من الألوان، مثل موف، وتركواز، وبياج، وزهري، وبني، فهذه المفردات نادراً ما يستخدمها الرجال وتمتاز لغة النساء؛ بأنها تزخر بالصفات التي تعبر عن قوة العاطفة سواء أكانت حقيقية أو تستعمل من باب المجاملة)⁽¹⁾.

إن الحديث عن الجنس أخذ أبعاداً عميقة في الدرس اللساني الاجتماعي المعاصر يتجاوز المعطى اللغوي البسيط في الدراسات اللغوية القديمة التي كانت تكتفي برسم حدود الاستعمال اللغوي للجنس في جانبه الشكلي؛ فتعمد إلى البحث في سبل التفريق بين الجنسين، وتمييز هذا الجنس عن ذاك بهذه العلامة، وتغليب هذه العلامة عن تلك، والتحيز في المخاطبة بالتذكير أو التأنيث كالمخاطبة بالجمع أو الأفراد وسواها من قضايا لغوية تركيبية صرفة؛ لا ينكر أحد أنه لا غنى عنها في فهم جوهر البناء التركيبي لأي لغة طبيعية

تتجاوز حدود الدراسة اللسانية المعاصرة كل ما سلف في مناهج التحليل وأساليب المقارنة؛

(1) نايف خرما، أضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط01، 1978، الكويت، ص195

وبربط مسألة الجنس في اللغة بالأطر الثقافية والاجتماعية التي تحكم بناء المجتمع قبل بناء هذه الصيغ اللغوية في حد ذاتها، وربما كان لعوامل التفاعل بين اللغات قبل الحضارات تأثيرها البالغ في هذا السياق؛ ففهم الجنس يعني فهم معادلة الوجود الإنساني الذي نختصره في وجود شخصين بدأت بهما الخليقة ألا وهما آدمٌ وحواء فأى مكانة ارتقى لها كل منهما في المجتمع الإنساني؟ وهل أنصفهما المجتمع، وأعطى لكل منهما حقه الذي يرتضيه؟ وكيف ينعكس ذلك على اللغة بوصفها مرآة المجتمع الإنساني؟.

تساوق هذه الأسئلة مع ما سبق طرحه من قبل اللغوي العربي نهاد الموسى بقوله (اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصفه؟ اللغة مرآة والمجتمع كيان إنساني مثقل بالإرث الثقافى وصيرورة البنى الفوقية كالاقتصاد والتشريع وقد تبدو اللغة محايدة؛ إذ تجعل (الجُبْنَ) مُذَكَّرًا، وتجعل (الشَّجَاعَةَ) مُؤنثًا، كما تجعل (السَّفَاهَةَ) مُؤنثًا و(الحِلْمَ) مُذَكَّرًا فاللغة نظام من العلاقات يقصد إلى الفرق والإبانة كما في تمييز (الظَّرِيفَ عن (الظَّرِيفَةَ) و(الكَرِيمَ) عن (الكَرِيمَةَ) بالتاء، ولكن المجتمع قد يجعل (مُعَاوِيَةَ) المُذَكَّرُ على لفظِ المؤنثِ، ويجعل (سُعادَ) للمؤنثِ حقيقة على غير صيغة المؤنث فتتمثل اللغة لذلك فإذا اختص اللفظ بالمؤنث جاء دون علامة التأنيث؛ كما في (كَاعِبَ)، و(نَاهِدَ) لأن مقتضى اللغة الإبانة في المقاصد⁽¹⁾.

لا شك في أن حركات النسوية العالمية " Gender بما تمارسه اليوم من خطاب لغوي ضاغط يناهض كل مظاهر التحيز المختلفة ضد المرأة؛ قد أعطت الدفع قدما للدارسين الغربيين إلى تناول قضية الجنس بصور تفصيلية وفي أبعاد متنوعة؛ ومن ذلك معرفة علاقة اللغة بالجنس من خلال (معرفة المعاني التي تعطيها اللغة للذكورة والأنوثة؛ وذلك انطلاقا من مقولة أن اللغة ليست محايدة، وإنما تفصح دائما عن مضمونها الاجتماعي؛ وبالتالي عن الظروف التي نشأت فيها المفاهيم والتعابير، بل وحتى قواعد اللغة نفسها إن المنظومة اللغوية لا تتشكل بالصدفة أو بطريقة اعتباطية وإنما من خلال التجربة الاجتماعية والتاريخية التي يمر بها أهلها؛ وهي لذلك تعبر بطرق مختلفة، عن هذه التجربة التي تتسرب دلالاتها حتى في ألفاظ القواميس؛ بالرغم من الانطباع الحاصل بان هذه القواميس تجمد الدلالات وتعزلها نهائيا عن الواقع⁽²⁾.

(1) -من تقديم نهاد الموسى لكتاب اللغة والجنس حضريات لغوية في الذكورة والأنوثة، عيسى برهومة، دار الشروق، ط01، 2002، عمان، الأردن، ص07

(2) غيدا ضاهر، الذكورة والأنوثة في لبنان دراسة في أوساط طلاب الجامعة، منتدى المعارف، ط01، 2011، بيروت، لبنان، ص49

ثانياً الجنس في اللغة العربية

تناول علماء العربية مسألة الجنس في اللغة العربية من خلال بحثهم لانقسام الكلمات إلى مذكر ومؤنث؛ انطلاقاً من نظرهم الفاحص في سنن العربية وقوانينها، والتي تعبر عن سنن الخلق والموجودات؛ (وإن من يرجع إلى كتاب سيبويه يقتنع تمام الاقتناع بأن الرجل قد أحاط بكل التراكيب العربية التي استخدمت هذا الشكل أو ذاك فالجنس في اللغة العربية فصيلة لغوية مهمة؛ تبرز في كلام العرب شعره ونثره، وفي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة؛ فلقد اهتم به علماء العرب قدماء ومحدثين (¹).

وقد تولد الإحساس لدى علماء العربية بأهمية هذا الجانب من الدرس اللغوي؛ فتباروا في وضع المصنفات المفصلة والشارحة لقضية التذكير والتأنيث؛ ولعل من أشهر هذه المؤلفات:

- ✓ المذكر والمؤنث لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء (ت 207 هـ)
- ✓ المذكر والمؤنث لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت 255 هـ)
- ✓ المذكر والمؤنث لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 286 هـ)
- ✓ المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري (ت 328 هـ)
- ✓ المذكر والمؤنث لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)
- ✓ المذكر والمؤنث لأبي الحسن أحمد بن فارس (ت 395 هـ)
- ✓ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات بن الأنباري (ت 577 هـ)

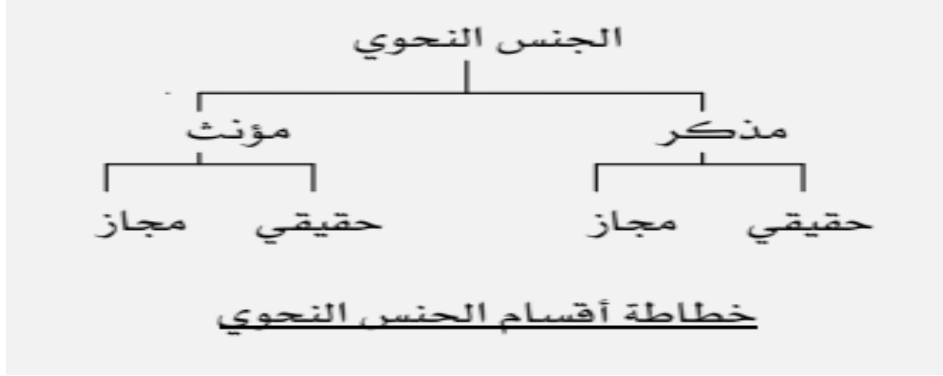
يكشف ظهور هذه التصانيف اللغوية بهذا التسلسل الزمني المتتالي غير المنقطع عن الإدراك العميق للدارس اللغوي العربي قديماً - كما سلف القول - لأسس بناء اللغة العربية؛ وقيامها في كلماتها على المذكر والمؤنث؛ كرؤيته للواقع الاجتماعي الذي ينهض على أساس الجنسين؛ الذكر والأنثى، ومن هذا الاعتبار بدت أهمية هذا الموضوع وجدة بحثه في نظرهم؛ فظل محل بحث دائم دون إحساس أنه مكرور، أو عديم فائدة في فهم اللغة العربية وأسرارها؛ يوضح مكانة هذا الباب من اللغة أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت 255 هـ) بقوله (الفصاحةُ زينةٌ ومروءةٌ ، ترفعُ الخاملُ ، وتزيدُ النبيةُ نباهةً ويُقالُ " المرءُ مخبوءٌ تحتِ لسانِهِ يَعْنِي إِذَا نَطَقَ فَأَحْسَنَ وَأَفْصَحَ عَظُمَ فِي الْعُيُونِ ، وَإِنْ كَانَ

(¹) لطيفة عبو، الجنس في اللغة العربية، إعداد الطالبة إشراف عبد الجليل مرتاض، مذكرة ماجستير، جامعة

ابي بكر بلقايد تلمسان السنة الجامعية 2000 / 2001 ، الجزائر، ص03

رَثَّ الْهَيْئَةَ تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ مَرَاتَهُ وَإِنْ أَنْثَ الْمَذْكَرَ أَوْ ذَكَرَ الْمُؤنَّثَ، وَجَعَلَ الضَّادَ ظَاءً أَوْ الظَّاءَ ضَاداً
اقتحمته العين وإن كان بهي المنظر والملبس⁽¹⁾.

ولقد قسم اللغويون العرب الكلمات من حيث تذكيرها وتأنيثها إلى نوعين؛ ويقسمون كل نوع
منهما إلى فرعين؛ كما يوضحه الرسم الآتي⁽²⁾:



ولا يكتفون بذلك بل يقسمون الحقيقي بعد هذا حسب وجود علامة التأنيث به، أو عدم وجودها
إلى قسمين؛ لفظي، ومعنوي ويقسمون المؤنث المجازي إلى ما اشتمل على علامة التأنيث أو خلافها وبذا
تنتهي الأقسام والأمثلة إلى الأقسام السبعة الآتية:

-مذكر حقيقي أ لفظي (ومعنوي بالضرورة)	: محمد فاهم
. ب معنوي (فقط)	: معاوية علامة
-مؤنث حقيقي . أ لفظي (ومعنوي بالضرورة)	: فاطمة -فاهمة
. ب معنوي (فقط)	: زينب -عافر
-مذكر مجازي وهو نوع واحد	: قلم
- مؤنث مجازي . أ بعلامة	: مسطرة
ب بدون علامة	: عين

(¹) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، المذكر والمؤنث، تج حاتم الضامن، دار الفكر، ط01، 1997، دمشق، سوريا، ص33

(²) - ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، ط01، 1996، القاهرة، مصر، ص73

ويكون المذكر حقيقياً كل من المذكر والمؤنث حقيقياً حين يتطابق فيه التصنيفان النحوي والطبيعي ولذا يعرفُ المؤنث الحقيقي بأنه ما كان له فرج الأنثى؛ مثل المرأة والناقة"، والمذكر الحقيقي ما كان له فرج الذكر؛ مثل الرجل والجمل⁽¹⁾، وقد أجمل بعض الدارسين أهم مباحث اللغويين العرب القدامى في الجنس فما يأتي:

1 . دراسة المؤنث بغير علامة تأنيث وهو على وزن فاعل

2 . تصغير الأسماء المؤنثة التي لا تظهر فيها علامة التأنيث

3 . تصغير النعوت التي تنفرد بها الإناث

4 . تصغير الأسماء التي لا تظهر فيها علامة التأنيث

أ . ما لا ينصرف من المؤنث

ب . تسمية المذكر بالمؤنث

5 . باب صفات المؤنث بغيرها

6 . ما يستوي به المذكر والمؤنث⁽²⁾.

هذه بعض الجوانب المقتضية لتناول نحاة العربية لمسألة المذكر والمؤنث؛ أو ما سماه اللغوي العربي أحمد مختار عمر بالجنس النحوي؛ والملاحظ مع كثرة التفريعات- إلا أنها حاولت أن تلم بمختلف جوانبه؛ فسعت إلى عدم التفريط في دقائق الاستعمال اللغوي العربي، ويجب التأكيد أخيراً حرص علماء العربية على ضرورة الإلمام بمعرفة الجنس في اللغة؛ ولذلك قدموه على معرفة الإعراب وجعلوا عدم التفريق بين الجنسين لحن بل وعيب يجب الاحتراز منه؛ ذلك ما أوضحه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(ت328هـ) بقوله (اعلم أنّ من تمام معرفة النحو والإعراب معرفة المذكر والمؤنث، لأنّ من ذكر مؤنثاً، أو أنّ مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً. ليكون الناظر في كتابنا هذا والعارف له خارجاً عن جملة اللاّحين، ومبائناً لجماعة المعيبين)⁽³⁾.

(1) -ينظر أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، مرجع سابق، ص73

(2) لطيفة عبو، الجنس في اللغة العربية، مرجع سابق، ص56

(3) أبو بكر بن الأنباري، المذكر والمؤنث، تح محمد عبد الخالق عظيمية، منشورات وزارة الأوقاف المصرية،

ط01، 1981، القاهرة، مصر، ص51

ثالثا الجنس واللغة والسياق الاجتماعي

تعد اللغة مرآة عاكسة للسياق الاجتماعي؛ فالمخاطب حينما يتكلم فإنما المجتمع هو الذي يتكلم في لغته بألفاظها وتراكيبها؛ فاللغة تعبير صادق عن المجتمع الذي ينتمي إليه، وحينما نتحدث عن اللغة والجنس فإن ما يستخدم فيها؛ من كلمات وتعابير لغوية نصفها بالمؤنثة أو المذكرة؛ إنما يتحدد من النظام اللغوي للغة المستعملة عند المتكلم، ولا نتصور أن ما هو مؤنث أو مذكر في هذه اللغة هو بضرورة مؤنث أو مذكر في اللغات الأخرى

نتحدث في هذا الإطار عن رؤية اللغوي العربي تمام حسان -رحمه الله- لمسألة الجنس بوصفه شكلا من أشكال الترابط في السياق؛ إذ يقول (ليس هناك صلة بين ما نسميه النوع في النحو وما بين ما نسميه الجنس في الطبيعة؛ وبعبارة أخرى ليس هناك صلة بين التذكير والتأنيث في النحو، وبين الذكورة والأنوثة؛ فالتذكير والتأنيث نواح تطريزية تقسيمية خلافية للتفريق بين طائفتين من الكلمات من ناحية سلوكهما في السياق، ولكن الذكورة والأنوثة مفهومان من مفهومات الدراسات الطبيعية ينبنيان على التفريق بين وظائف الأعضاء؛ فالكلمة التي تدل على ذكورة عضوية قد تحرم التذكير النحوي؛ كحمزة الذي تلحقه التاء في آخره).⁽¹⁾

يفهم من هذا الكلام أن المؤنث والمذكر يكمن دورهما في انه مظهر من مظاهر التوافق في السياق، فهو لا يظهر له من خلال الأصل والفرع كما فعل غيره وإنما ينظر له بمنظار وظيفي على مستوى الجملة، وكذلك لإظهار التوافق في السياق؛ ليكون التماسك واضحا فيه، ويعبر عنه تعبيرا شكليا في الغالب من حالاته ولكل لغة اعتبار خاص بها في ارتباط التذكير والتأنيث النحوي⁽²⁾.

ويوضح تمام حسان أن ارتباط التذكير والتأنيث النحوي إنما يكون باعتبارات تختلف في لغة عنها في الأخرى؛ وليس أدل على عدم الربط بين الأنوثة والتأنيث من أن كل الاسماء التي تدل على عضو التأنيث في المرأة مذكرة في اللغة العربية على ما اظن؛ وأن الشمس والقمر لمثالان رائعان لدراسة هذه الظاهرة في لغات مختلفة؛ فالشمس مؤنثة في العربية مذكرة في الانجليزية، والقمر بالعكس. فالتذكير والتأنيث إذاً تطريز اجتماعي يتفق أحيانا مع الواقع، ويختلف أحيانا أخرى ولذا يجب التفريق بين النوع الذهني والنوع النحوي لأنهما يختلفان، كما تختلف فكرة الشخص عن ضمائر الاشخاص؛ وإن توزيع الأدوات المهنية بين التذكير والتأنيث فكرة لا يمكن تعليلها بنجاح إلا على أساس نحوي؛

(1) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو مصرية، د ط، 1990، القاهرة، مصر، ص215

(2) لطيفة عبو، الجنس في اللغة العربية، مرجع سابق، ص56

فهل هناك أي سبب خارج النحو يبرر ان يكون المنشار والقدم مذكرين وان تكون المطرقة والفاص والمائدة من الاسماء المؤنثة؟⁽¹⁾.

وخلاصة القول في هذه النظرية اللغوية التي يبدو فيها جليا تأثر تمام حسان بأستاذه الانجليزي "جون فيرث"؛ فالجنس له صورتان ما يرد في السياق اللغوي من مذكر ومؤنث ووظيفتهما تحقيق الاتساق اللغوي للغة، وهناك جنس طبيعي يرتبط بالسياق المقامي المرتبط بالمجتمع.

ثالثا الجنس بين المحظور اللغوي والتلطف في التراث اللغوي العربي

أمكنا في درس سابق بيان علاقة الجنس بالمحظور اللغوي باعتباره أحد الجوانب المكونة له؛ وقد نظر بعض الدارسين المعاصرين إلى تصنيف ما ورد في مجال المحظورات اللغوية الجنسية في التراث العربي ونصوصه (النص القرآني، الحديث النبوي، الشعر، النثر) في ثلاثة أبواب العلاقات الجنسية، والأعضاء الجنسية، والعادات الجنسية⁽²⁾.

وسنعرض هنا في هذا الجدول لبعض الكلمات التي ورد ذكرها في كتاب "الكناية والتعريض للثعالبي وبيان كيفية التلطف منها"⁽³⁾:

الحقل الدلالي للفظ المحظور	اللفظ المحظور (ما يفضل الاستغناء عنه)	اللفظ المُطَفِّق المقبول اجتماعياً (أو التركيب أو العبارة) (المُستحسن)	صاحب اللفظ المُلطف	صفحة وروده في الكتاب
الجنس	الدبر	محاشون	الرسول (ﷺ)	٢١
	عورة المرأة	الفرج	القرآن الكريم ^(٢)	٢١
	النكاح	العسيلة	الرسول (ﷺ)	٢١-٢٢
	الفرج أو الدبر	مطامير الهوى	راشد بن إسحاق الكاتب	٢٢
	العورة	ما بين رجليه	الرسول (ﷺ)	٢٥
	عورة الرجل	البلبلة	عبد العزيز السوسي	٢٥

(١) ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص 215

(٢) عصام الدين عبد السلام محمد إبراهيم أبو زلال، التعبير عن المحظور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، دار النهضة العربية، ط 1987، 01، القاهرة، مصر، ص 104

(٣) -ينظر الثعالبي، الكناية والتعريض، مرجع سابق، ص 148

٢٦- ٢٧	أبو الفتح البستي	إمام لهوي	عورة الرجل	
٢٧	مُخْنَث من المدينة	مزاريب البول	عورة الرجل	
٢٧	بعض المجان	مفتاح اللذة	عورة الرجل	
٢٨	مجهول	مفتاح الله	عورة الرجل	
٢٨	مجهول	عفيف الإزار	عفيف الفرج	الطهارة والعفة
٢٨	مجهول	طاهر الذيل	عفيف الفرج	
٢٨	الشاعر زيادة بن زيد	كرام المضاجع	عفة الفرج	
٢٨	القرآن الكريم ^(١)	«أفضى بعضكم إلى بعض»	النكاح	الشهوة والنكاح
٢٩	القرآن الكريم ^(٢)	«تغشأها»	النكاح	

٤٠	مجهول	فلان بخاتم ربها	عذراء	العذرة
٤٣	مجهول	ليس يجوز لها أن تقرأ القرآن	الحيض	الحيض
٤٥	مجهولة	نفخ البطن	الحمل	الحمل
٥٣	مجهول	الطهر والتطهير	الختان	الختان
٥٧	مجهول	العلق ^(٢) ، المطبوع، والمعاشر، والمواسي	اللواط	اللواط

جدول للمحظور الجنسي وكيفية التلطف منه في كتاب "الكناية والتعريض للشعالبي"^(١).

(١) -ينظر هايل محمد الطالب ، دراسات في اللسانيات التطبيقية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط01،

2017، دمشق، سوريا، ص50، 51

الدرس السابع

التناوب اللغوي

أولا مفهوم التناوب اللغوي

ثانيا أسباب التناوب اللغوي

ثالثا أنواع التناوب اللغوي

رابعا من أشكال التناوب اللغوي في اللغات الحديثة

أولا مفهوم التناوب اللغوي

يعد التناوب اللغوي ظاهرة لسانية اجتماعية لا يكاد يخلو منها أي من المجتمعات المعاصرة؛ وهي تعبر في جوهرها عن الاحتكاك اللغوي بين اللغات الإنسانية؛ إذ غدا التحول والانتقال من شكل لغوي إلى شكل لغوي آخر في الكلام في اللغة الواحدة؛ كالانتقال من المستوى الفصيح المعياري إلى المستوى العامي البسيط، أو بين لغتين مختلفتين أو أكثر، سلوكا لغويا اجتماعيا غالبا يشترك فيه جميع أفراد المجتمع في مختلف مستوياتهم؛ إن لم نقل صفة ملازمة للخاصة من المتعلمين والمثقفين، قبل العامة من الناس التي تميل اعتبارا إلى القوالب اللغوية الجاهزة صيغا وعبارات دون تحرج لضرورات الاتصال الاجتماعي وحاجاته.

ما يدعونا في هذا المضمار إلى طرح عديد الأسئلة المستكشفة لطبيعة هذا الاصطلاح اللساني الاجتماعي ومدلولاته المعرفية؛ من نحو ماذا يراد باصطلاح التناوب اللغوي في بعده اللساني الاجتماعي؟ وما الأسباب التي تدفع المتكلم إلى هذا النهج اللغوي في خطابه اليومي؟ هل يكشف ذلك عن طبيعة المستوى الاجتماعي للمتكلم؟ وهل ينم ذلك مثلا عن عجز اللغة الأم للمتكلم عن الوفاء بأغراضه؟ وهل هو من باب تأثير اللغات النافذة علميا على الصعيد العالمي؟.

- جاء في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات تناوب اللغات "Code Switching" في التواصل استعمال الشخص للمفوز يتألف من جمل أو أجزاء من الجمل من لغتين مختلفتين أو من منظومتين لغويتين متباعدتين⁽¹⁾.

- وجاء في معجم اللغويات الاجتماعية مفهوم التناوب اللغوي-بالأجنبية Code Switching يشير إلى الحالات التي يبدل فيها المتحدثون بين الرموز (اللغات أو أشكالها المختلفة) أثناء المحادثة؛ وقد يشتمل التبديل بين الرموز على مقادير مختلفة من الكلام والوحدات اللغوية المختلفة من إصدار مواد لغوية عديدة متتالية لكلمات ومقاطع كما في المثال الآتي:

- *Lakini ni-ko sure ukienda after two days utaipata < Uchumi > super-market kwa winigi. (But I) sure if you go after two days you will get it [Omo detergent] at < Uchumi > supermarket in abundance. »).*

(1) - ينظر : مجموعة من المؤلفين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات -انجليزي فرنسي عربي-، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، 2002، الدار البيضاء، المغرب، ص32

ولكن أنا متأكد بأنه إن ذهبت بعد يومين فسوف تحصل عليه (مسحوق الغسيل أومو) من سوبر ماركت يوشمي بكميات كبيرة فالمتكلم في كينيا يقوم بالتبديل ما بين اللغة السواحلية (بالخط المستقيم) واللغة الانجليزية (بالخط المائل) تم اقتباس هذا المثال من (Myers- scotton ,1993a :4) (1).

-وبالنسبة للساني الفرنسي لويس جون كالفني فإن المصطلح اللساني "Code Switching" يعبر عنه التعاقب اللغوي "Alternance Codique" (2).

-بالنسبة للساني الأمريكي جون قمبرز John. GUMPERZ (ت2013) " يتمثل التعاقب اللغوي في إدراج جمل من لغة ما في نص لغة أخرى (3).

وأكد بعد سنوات في مقالة صدرت سنة 1975م ارتباط التعاقب اللغوي بالحديث فقال أعني بالتعاقب اللغوي الحديثي (نسبة إلى الحديث) تجاور مقاطع لغوية تنتمي إلى نظامين نحويين مختلفين في التخاطب الواحد، ويحصل هذا عندما يستخدم الناطق لغة أخرى لتأكيد كلامه أو تفسيره (4).

يستخلص من هذه التحديدات الاصطلاحية؛

- ترتبط ظاهرة التناوب اللغوي باللغة في الاستعمال؛ أي أثناء العمليات التخاطبية التواصلية بين الأفراد؛ إذ يلجأ بعضهم إلى تأليف الكلام من لغتين مختلفتين، يبدو معها الحديث مزيجاً غير متجانس من الألفاظ والتراكيب لنظامين لغويين مختلفين

- يحدث التناوب اللغوي بشكل تلقائي أثناء المحادثات المختلفة بشكل متفاوت؛ فقد يظهر في وحدات لغوية صغرى أو في وحدات لغوية كبرى.

ولقد ترجم مصطلح "Code Switching" الواصف لهذه الظاهرة اللسانية وتم نقله إلى اللغة العربية -بالإضافة إلى اصطلاح التناوب اللغوي- بعدة مقابلات اصطلاحية عربية أشهرها التبديل اللغوي، والتعاقب اللغوي، والاحتكاك اللغوي وتجب الإشارة إلى أن هذه بعض الاصطلاحات تضعنا في موضع التداخل المعرفي والعلاقة البيئية لهذا المصطلح مع مفاهيم لسانية اجتماعية أخرى؛ تتقارب معها

(1) - ينظر : جون سوانن وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، مرجع سابق، ص70

(2) - ينظر : لويس جون كالفني، علم اللغة الاجتماعي، تر محمد يحياتن، دار القصة، ط 01، 2006، الجزائر، ص32

(3) خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، ط 01، 2013، الجزائر، ص104

(4) - نفسه، ص 105

من حيث الموضوع والمنهج، ومن ذلك التداخل اللغوي، والتعدد اللغوي، والثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية.

ويشير السرد التاريخي لمصطلح التناوب اللغوي "Code Switching" إلى أن ظهوره يعود إلى سنة 1959م؛ وأن الفضل في استبطائه وتطبيقه في أول أمره إلى اللساني النرويجي الأمريكي أينار هوجين Einar. Haugen (1906- 1994) في سياق بحثه للمشكلات اللغوية التي واجهت النرويج في ذلك الوقت ومحاولاته في التقييس اللغوي، والتخطيط اللغوي للغة في النرويج.

ثانيا أسباب التناوب اللغوي

يستخلص مما تقدم إلى أن التناوب اللغوي في صورته العامة يشير إلى تبديل اللغة في علم اللغويات عامة، وفي علم اللغة الاجتماعي خاصة بالطريقة التي يقوم بها المتحدثون بالتبديل بين لغتين، أو أكثر أو حتى بالتبديل بين اللهجات لنفس اللغة أو حتى لكاناتها، ويكون ذلك في سياق محادثة واحدة. يستخدم الأشخاص الذين يتحدثون أكثر من لغة واحدة، أو ما يعرف بمتعدد اللغات أحياناً؛ أدوات لغوية تنتمي للغات عديدة أثناء تحدثهم مع بعضهم البعض. وبالتالي يعد التناوب اللغوي استخدام متعدد ومتنوع للغة، أو أكثر ولكن بطريقة تتناسب، وتتوافق مع بناء جملة وتراكيب اللغة وأصواتها وعلوم صوتياتها⁽¹⁾.

يظهر هذا الوصف للظاهرة الكشف عن التناوب اللغوي بوصفه ممارسة لغوية عادية عند مستعمل اللغة؛ دون النظر إلى المقاصد السياقية التي يرمي المتكلم إليها من خلال هذا الإلصاق اللغوي فهل تعد هذه الظاهرة بحق محايدة ليست لها أي أبعاد مرتبطة بالمجتمع والأفراد الممارسين لها ؟ أم أنها تؤشر عن معطيات سياقية اجتماعية وثقافية معينة؟ وهل يمكن أن نقول مثلاً إن هناك علاقة بين التناوب بالمستوى الاجتماعي والثقافي عند المتكلم؟

نعم يبدو التناوب اللغوي في كثير من الأحيان جانبا تلقائياً مألوفاً لا تكلف فيه لا سيما بالنسبة لأولئك الأفراد من المجتمع الذين يضطرونهم العيش أو التعلم إلى الهجرة إلى بلدان غير أوطانهم، أو الاحتكاك مع مجتمعات لا تستعمل اللغة الأم نفسها التي يستعملها في وطنه الأم ولكن التناوب اللغوي قد يحمل أبعاداً نفسية واجتماعية تعبر عن طبيعة المتكلم وغرضه من هذه الممارسة اللغوية؛ ومن ذلك:

(1) ينظر ما هو التناوب اللغوي؟، ندين حمدان، موقع إي عربي؛ تاريخ الاطلاع عليها 15 جويلية 2021، من خلال الرابط الإلكتروني: <https://e3arabi.com/?p=698164>

أ . التميز الاجتماعي الطبقي

يؤشر التناوب اللغوي معنى إظهار التمييز الاجتماعي الطبقي الذي لا يريد أن يصرح به المتكلم مباشرة؛ في هذا السياق سبقت الإشارة إلى الميل الذي نجده لدى أبناء الطبقة الارستقراطية إلى المزج اللغوي⁽¹⁾.

ونحن نرى أن الناس عندما يتناوبون، أو يخلطون؛ أصوتا، أو مفردات، أو تعابير لهجات، أو لغات مختلفة؛ فإنهم في ذلك يعبرون عن اختلافات وفروق في المكانة الاجتماعية، والسلطة والاختلاف العرقي والثقافي أيضا. فنحن عندما ننتقل من لفظ إلى آخر، ومن مفردة إلى أخرى، ومن تعبير إلى آخر عند تناوبنا بين اللهجات واللغات التي نتحدث بها، نفعل ذلك استجابة للمكانة الاجتماعية، وفي الغالب لتحقيق غايتين أساسيتين:

-الأولى : نتبنى الألفاظ أو المفردات أو الأطر الشائعة لدى لهجة أو لغة نراها أسمى مما لدينا؛ بغية اللحاق بالركب الاجتماعي للناطقين بها.

والثانية نتبنى نحن أصحاب لهجة أو لغة نراها أرفع مقاما ومكانة وسموا، ألفاظا أو مفردات أو أطرا شائعة لدى لغة أو لهجة لدى من نراهم أدنى مما نحن عليه؛ للتقليل من شأنهم ومكانتهم الاجتماعية. إذن؛ مسألة تغيير اللفظ أو المفردة أو العبارة حسب لهجة أخرى أو لغة أخرى ليست عملا روتينيا اعتباطيا كما قد يعتقد بعضهم

وقد تكون أيضا وسيلة للوصول إلى مرتبة أعلى، أو الولوج في عالم اجتماعي أعلى، والانتماء إليه لن يتم ما لم نظهر أننا نتقن استخدام اللهجة أو اللغة الأجنبية لدى منتسبيه⁽²⁾.

ب . التميز العلمي والثقافي

تم ظاهرة التناوب اللغوي عن المستوى العلمي والثقافي للمتكلم؛ فهي تعبر عن مكنوناته ووجهة نظره التي يعززها بالانتقال من لغة إلى أخرى؛ مثلما نجده في الخطاب الجامعي؛ فالأستاذ وهو يحاضر تجده يستطرد في شروحه وتحليلاته، فيستشهد لأرائه باصطلاحات متباينة من لغات العلوم المختلفة؛

(1) -ينظر بيتر ترادجل، السوسيو لسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، مرجع سابق، ص38
(2) ينظر التناوب بين اللغات.. والصراع الطبقي، ليون برخو، الجمعة 24 أغسطس 2018؛ تاريخ الاطلاع عليها 15 جويلية 2021، من خلال الرابط الإلكتروني www.aleqt.com/2018/08/24/article_1442186.html

وذلك قصد تحقيق أهداف علمية أو ثقافية أو غيرهما ، فاللتاوب اللغوي أداة بيداغوجية علمية وربما يعبر من جانب آخر عن طبيعة التكوين العلمي لهذا الأستاذ الذي يميل إلى توظيف ألفاظ وتراكيب لغوية من لغات أخرى في كلامه؛ فمّا يلاحظ على معشر المثقفين في العالم العربي -لا سيما أولئك الذين تلقوا تعليمهم العالي في أوروبا أو أمريكا- فني بلاد المغرب العربي نلحظ ميلهم إلى مزج كلامهم باللغة الفرنسية، وفي بلدان الخليج العربي نلحظ ميلهم إلى توظيف الانجليزية في كلامهم.

ب . التميز العرقي أو الإثني

يعد التتاوب اللغوي تعبيرا خالصا في البلدان المتعددة الأعراق والأجناس؛ عن الانتماء العرقي والإثني لدى المتكلمين؛ وربما اعتبرها غير الناطقين بتلك اللهجات الإثنية نوع من العنصرية المميزة للأفراد؛ ففي بلد كالولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث يتألف المجتمع من أجناس متعددة الأعراق لاحظ "جون قمبرز J. GUMPERZ" في كتابه استراتيجيات الخطاب ميل الطلبة الأمريكيين السود إلى استخدام لهجاتهم الخاصة كإستراتيجية خطابية فيما بينهم، إلى جانب اللغة الانجليزية الجامعة بين كل الطلبة الأمريكيين⁽¹⁾.

ثالثا أنواع التتاوب اللغوي

تأكد لدينا مما تقدم أن ظاهرة التتاوب اللغوي تتمثل في الانتقال من لغة إلى أخرى، أو من تنوع لغوي إلى آخر؛ سواء بعد حصول تغير في المقام التفاعلي أو في احد مقاييسه (تغير العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين، تغير في الموضوع) أو على أثر أسلوبية أو مجازي يغير القواعد السوسيو لسانية للتفاعل؛ لهذا الغرض، وضع "ج. غمبرز J. GUMPERZ" تمييزا بين نوعين من التعاقب اللغوي: التعاقب اللغوي المقامي، والتعاقب الأسلوبية أو المجازي⁽²⁾:

أ. التعاقب اللغوي المقامي (يضطلع مفهوم التعاقب المقامي بإقامة علاقة

مباشرة بين اللغة والواقع الاجتماعي، إن الصيغ اللغوية التي تستعمل مميزات أساسية للحدث، من حيث أن كل خرق للقواعد الاختيارية يغير تصور المشاركين (أي المتخاطبين) لهذا الحدث .)⁽³⁾

(1) - ينظر : لويس جون كالفي، علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص45

(2) خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، مرجع سابق، ص105

(3) - John J. Gumperz, Dell Hymes, Directions in Sociolinguistics: The Ethnography of Communication Published By: Linguistic Society of America, USA, p456

ب. **التعاقب اللغوي الأسلوبي المجازي** (إن تعاقب اللغات ها هنا بأنواع خاصة من الموضوعات، وإغراض الحديث أكثر مما يتعلق بتغيرات الواقع الاجتماعي، إن دلالات التعاقب المجازي مرهونة بوجود علاقات مطردة بين المتغيرات والواقع الاجتماعي من النمط إذ تحدثنا عنه، أن السياق الذي يستخدم فيه أحد عناصر سلاسل التعاقب بانتظام، يصبح جزءا من معناه بحيث حين نستعمل هذه الصيغة اللغوية في سياق تظهر فيه بأنها عادية تجلب معها جزءا من نكهتها التي تنتمي إلى مجالها الأصلي، أما عن وظائف التعاقب اللغوي، فلقد قام "ج جمبرز J. GUMPERZ" بفحص بعضها التي من شأنها تأويل تعاقب اللغات في حديث ما، وقد حصر في هذا الباب ست وظائف؛ على الرغم من أنه يرى بأن التأويل يتغير بتغير السياق، ومحتوى الخطاب، وأنه في كثير من الأحيان يكون اختيار اللغة، أو التنوع اللغوي نفسه في حال الحديث؛ هو العامل الحاسم⁽¹⁾.

وتتعدد تقسيمات التناوب اللغوي عند الدارسين اللسانيين بحسب رؤية كل واحد منهم؛ فهناك من نظر إليه من زاوية طبيعة النظام اللغوي أو المستوى اللغوي الذي يحدث من خلاله التعاقب اللغوي؛ أي بين اللغة أو اللهجة التي يقع بينها التعاقب اللغوي؛ من هذا المنظور يمكن تفريعه باقتضاب إلى ما يأتي

✓ -تعاقب بين مستويين في اللغة الواحدة أي بين اللغة المعيار واللهجة (كما هو الحال بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية).

✓ -تعاقب بين نظامين لغويين مختلفين كأن يكون بين اللغة الأم واللغة الأجنبية (كما هو الحال في كثير من البلدان العربية حيث يمزج المتكلم بين اللغة العربية واللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية).

✓ -تعاقب بين مستويين لغويين في نظامين لغويين مختلفين كأن يكون بين لهجتين في لغتين مختلفتين

✓ -تعاقب لغوي في نظام لغوي واحد هذا نوع هو ما يحدث من تناوب لعنصر لغوي بدلا من آخر في اللغة الواحدة؛ مثلما نجد في اللغة العربية الفصحى؛ بين المصدر واسم المصدر، نائب الفاعل والمفعول به وهذا النوع لم يتركز عليه كثيرا الدراسات اللسانية الاجتماعية؛ لأنه يخص الجانب الداخلي للغة ولا نجد فيه احتكاك بلغات أخرى أو مستويات لغوية متعددة

(1) خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، مرجع سابق، ص 106

رابعاً من أشكال التناوب اللغوي في اللغات الحديثة

عندما يكون الفرد إزاء لغتين يستعملهما بالتناوب، فيحصل أن تتمازجا في خطابه وأن ينتج ملفوظات "مزوجة". ولا يتعلق الأمر هاهنا بالتداخل، بل يمكننا القول بان الأمر يتعلق بعملية تلصيق، وانتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى، وهو ما يدعى بـ"مزج اللغات" *Mélanges des langues* أو التعاقب اللغوي *Alternances codiques* وهذا حسب حصول التغير اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو من جملة إلى أخرى. وهذا مثال أول مقتطف من حوار بين نساء إسبانيات يعشن بسويسرا تحديدا بنوشاتل⁽¹⁾:

« *Ahora ,con cabronas de ponermelos en lot alto de la oficina ,en lo alto de la mesa de la oficina ;sin explicacion y sin na ça va pas ou quoi ?por quuien se toma este imbecil que apesta a vaca ,eh ?Y subo y digo ,dice : bueno ? je vais voir si je trouve ,je monte tout de suite .* »

إن إدراج مقاطع بالفرنسية

(ça va pas ou quoi ,je vais voir si je trouve ,je monte tout de suite)

في خطاب بالإسبانية يتم هنا عن حالة الاحتكاك اللغوي التي توجد عليها المتكلمة، وتشكل حسب واضع "اللغة المزوجة" مزجا للغات الذي هو مشترك بالطبع بين الشخصين؛ فهما إسبانيتان وتشتغلان في سياق فرانكفوني وأن الانتقال من لغة إلى أخرى، يشتغل في أحيان كثيرة كالاستشهاد لمقطع من الخطاب تلفظ به في لغة أخرى، أو يشتغل كطريقة لترسيخ الخطاب في الواقع الذي يحال عليه: ولا توجد هنا إستراتيجية خاصة

إن التعاقب اللغوي أو مزج اللغات يمكن إن يستجيبا لاستراتيجيات الحديث، ومن ثم يمكنهما أن ينتجا معنى الدلالة هذا مثال لحديث في أسرة ذات أصل إسباني تعيش في كندا الناطقة بالإنجليزية الولدان ولدا في إيطاليا، أما الأطفال الأربعة فقد ولدوا في كندا، أحدهم، وهي بنت، توجد بفرنسا حيث تواصل دراستها الأسرة كلها ترسل لها ما يشبه رسالة شفوية، أي تسجيلا لحديث جماعي في شريط موجه للبنت الغائبة⁽²⁾:

البنت الوسطى يقول آه هؤلاء"المارينز خطيرون

الأخ نعم، احترز أنت من"المارينز وكل الجنود" (ضحك)

⁽¹⁾ - ينظر : لويس جون كالفي، علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص45

⁽²⁾ - نفسه، ص46

البننت الوسطنى وجميع الجنود (ضحك)

الأب وكوني عاقلة، لا...

البننت الوسطنى آه اوكي (لا ترتكبي الفاحشة، نحن الأخ ضحك)

الأب نرسلها لفرنسا كي تصبح أكثر ذكاء، بعد

البننت الوسطنى تصبح أكثر غباء .

الأب نعم كلما ذهبنا إلى المدرسة، أصبحنا ذوي شأن

Fille cadette :-E goes , « oh thos Marines ,dangerous 'n' .»

Frère :-yup ;stay away from i marines e tutti soldat (rires)

Père:-E mit sendemind nde ...

Fille cadette :-ah !ok (Frère :- rires)

*Père :- E nen fa la stupet la ma'Em a la fran*g pe fal :a deven'da kju smart envEc a'pu /...Anh*

Fille cadette :-fa kju stupet .

Père :-An (kju)keva ala skol e kju se devendEm le kos bon .

Fille cadette :-il dit :oh ,ces((Marines)) sont dangereux

Frère :-Ouais ,garde -toi de ((les Marines et tous les soldats)).(rires)

Fille cadette :- Et tous les soldats (rires)

Père :-et se sage ,non ...

Fille cadette :-ah !ok (Frère :- rires)

Père :-et ne fais pas de bêtises ?Nous l'envoyons on France pour qu'elle devienne plus intelligente au connaitre ,après ...

Fille cadette :- elle devient plus bête .

Père :-ouais, plus on va à l'école et plus on devient de bonnes choses. (1)

(1) -ينظر : لويس جون كالفي، علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص47

نلاحظ أن البنت الوسطى تبدأ بأن تذكر باللغة الإنجليزية جملة نطق بها الأب بالاطالية (لكنها تنطق كلمة باللكنة الإيطالية، أي بلكنة الأب)، ثم يواصل الأخ بالإنجليزية ولكنه يذكر جملة الأب Dangerous بالاطالية وهي الجملة التي تكررهما البنت الايطالية دائما أن الأب لا يتكل طوال الحديث إلا بالاطالية smart ولكنه يقحم في خطابه كلمة انجليزية، وهكذا نرى بأن تغييرات اللغة الأطفال تحقق هاهنا وظيفة السخرية إذ يتعلق الأمر في كل مرة بالسخرية من الأب، وإجلاء سلوكه لغويا، ومن ثم فإن التعاقب اللغوي يستجيب لإستراتيجية ما وهذا مثال آخر للتعاقب يطابق ما يسمى بالتفاوض حول لغة التخاطب، في مدينة مونريال (كيبك) التي يغطي فيها استعمال اللغة الفرنسية، يلاحظ أن زحف اللغة الإنجليزية هو من القوة؛ بحيث جعل الناطقين باللغة الفرنسية، يدافعون عن مواقفهم بسلسلة من القوانين اللغوية، ومن بين ما يترتب عن هذه القوانين كون الإدارة مجبرة على أن تكون مزدوجة اللغة (1).

(1) - ينظر : لويس جون كالفي، علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص47

الدرس الثامن

الازدواجية والتعريف اللغوية

أولا مفهوم الازدواجية اللغوية

ثانيا. خصائص الازدواجية اللغوية

ثالثا. الآثار اللغوية والاجتماعية للازدواجية اللغوية

رابعا. مفهوم التعدد اللغوي

خامسا. عوامل نشأة التعددية اللغوية

أولا مفهوم الازدواجية اللغوية

تعد الازدواجية اللغوية " Diglossia من أهم الظواهر اللغوية، التي شغلت اهتمام اللسانيين الاجتماعيين منذ منتصف القرن الماضي لا سيما في أبحاثهم التطبيقية الميدانية عن اللغات الإنسانية في مختلف بلدان العالم؛ ولما لهذه الظاهرة من ارتباط مباشر بالمجتمع في ميادين الحياة اليومية المختلفة؛ كالتربية والتعليم، والاقتصاد، والسياسة إذ يبدو تأثيرها بالغ في التخطيط اللغوي ورسم السياسات اللغوية الوطنية في العالم

ويعبر هذا المصطلح من جانب آخر عن أوضح صور الاحتكاك اللغوي بين اللغات؛ إن على مستوى الأفراد لأسباب ذاتية فردية، وإن على مستوى المجتمع لأسباب تاريخية، أو جغرافيا أو اقتصادية أو غيرها (فامتزاج الشعوب، والاحتكاك اللغوي الناتج عنه، يقود في كثير من الأحيان إلى جعل بعض الأفراد يستعملون نظامين لغويين مختلفين، وهذا الاستعمال يسمى اليوم ازدواجية لغوية. وهذه الازدواجية تصنف حسب متغيرات كثيرة فقد تكون فردية أو جماعية أو حكومية. تكون ازدواجية بالمعنى الضيق أو بالمعنى الواسع. كما أنها تصبح تعددية لغوية إذا استعملت أكثر من لغتين عند الناطقين)⁽¹⁾.

لا يحظى مصطلح الازدواجية اللغوية " Diglossia باتفاق بين الدارسين على مفهوم محدد؛ وهذا يرجع إلى تعدد الزوايا التي نظر منها كل من كل دارس لهذا المفهوم اللساني المعاصر؛ ثم للتداخل الحاصل بينه وبعض المفاهيم اللسانية التي تماثله في الشكل أو المجال أو الوظيفة كمصطلح "الثنائية اللغوية؛ الذي قد يأخذ دلالاته في بعض سياقات الاستعمال؛ (فالازدواج اللغوي هو وضع ثنائية لغوية شاملة متحدا بكامله؛ حيث يكون استعمال كل من اللغات مقيدا بهذا الطرف الخاص أو ذاك؛ استعمال الفرنسية في كبريات المدن الإفريقية، مقابل الاستعمال الدارج والعائلي من جانب المتكلمين أنفسهم للغتهم الأم)⁽²⁾. ولعل من أهم التحديدات الاصطلاحية المبينة لدلالة هذا المفهوم ما يأتي

- يرى بعض الباحثين أنه يطلق « على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد ما، أو جماعة ما في آن واحد⁽³⁾.

(1) مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الآفاق، ط01، 2017، الجزائر، ص47

(2) - جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تر خليل أحمد خليل، دار الطليعة، ط01، 1990، دمشق، ص154

(3) - ينظر: عبد الرحمان بن محمد القاعد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة فهد الوطنية، ط01، 1997،

الرياض، السعودية، ص11

- وفي تحديد مماثل للازدواجية اللغوية يطلق: « على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة»؛ أي لغة للكتابة وأخرى للمشافهة أو لغة للحياة اليومية العادية وثانية للعلم والفكر والثقافة والأدب⁽¹⁾.

- وفي تحديد آخر فإن مصطلح ازدواج لغوي؛ يدل على توزيع الاستعمالات في كل اللغات حسب الظروف والموضوعات الخاصة، ويتوافق هذا التوزيع عموماً مع انتشار إحدى اللغات ومع فارق في الميزة⁽²⁾.

- ومن التحديدات الاصطلاحية البارزة؛ مفهوم اللساني الاجتماعي "س. أ. فرغسون C.A. Ferguson" للازدواجية اللغوية بقوله : في مجتمعات لغوية عديدة يستعمل بعض المتحدثين في ظروف مختلفة نمطين أو أكثر للغة واحدة؛ وربما يكون أشهر مثال لهذا هو اللغة المعيارية واللهجة الإقليمية كما هما مستعملان في الإيطالية أو الفارسية؛ إذ يتكلم كثير من الناس لهجتهم المحلية داخل منازلهم أو بين أفراد العائلة أو مع الأصدقاء من منطقة اللهجة نفسها لكنهم يستخدمون اللغة المعيارية عند التواصل مع من يتكلمون لهجات أخرى⁽³⁾.

ويشير السرد التاريخي إلى أن مصطلح ازدواجية اللغة (Diglossia) قد درس أول الأمر بشكل علمي بواسطة "كرومباشر"، ولكن يؤكد أغلبية علماء اللغة أن المصطلح لم يشر إليه بشكل صريح إلا عندما استخدم لأول مرة عن طريق عالم اللغة الفرنسي "ماركيز ويبدو هذا الاعتقاد صحيحاً ومقبولاً؛ حيث إن المصطلح باللغة الفرنسية يسمى " Diglossie " وقد أدخل إلى اللغة الانجليزية حرفياً مع محاولة إخضاعه لنظم تراكيب الصوت والصرف باللغة الانجليزية وبالرغم من هذا فإن أغلب الدراسات التي تناولت هذا الموضوع لم تشر إلى ماركيز أو دراساته، ولكنها على العكس من هذا دائماً ما تذكر العمل التقليدي لفرغسون، وعندما نشر فرغسون بحثه في المجلة الدورية المتخصصة (word)، كان يطمح من خلال هذا العمل أن يكون منطلقاً لأعمال أخرى يقوم بها الباحثون في مجال علم اللغة، ويبدو أن هذا الطموح قد تحقق؛ فقد اتبع عمل فرغسون مئات البحوث وعدد كبير من الكتب كما ذكر ذلك فرغسون نفسه⁽⁴⁾.

(1) - ينظر : عبد الرحمان بن محمد القاعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مرجع سابق، ص11

(2) جوليت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، مرجع سابق، ص153

(3) - ينظر : عبد الرحمان بن محمد القاعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مرجع سابق، ص193

(4) - ينظر : إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط01، 1996، الرياض، السعودية، ص17

ثانياً خصائص ازدواجية اللغوية

تتصف ازدواجية اللغة بجملة من الخصائص والمميزات الواجب توافرها في لغة مجتمع ما؛ كي يتم اعتبار هذا الوضع اللغوي صالحاً لوصفه بازدواجية اللغة، وقد أورد فرغيسون في بحثه عدداً من الخصائص أو الصفات نوجزها فيما يأتي⁽¹⁾:

• الوظيفة function

يعتبر فرغيسون ومعظم الذين اتبعوه في دراسة ظاهرة ازدواجية اللغة أن الوظيفة التي يؤديها الشكل اللغوي من أهم خصائص هذه الظاهرة، فهناك بعض المناسبات أو الأوضاع الاجتماعية التي تحتم استخدام اللهجة العليا، كاللهجة العربية الفصحى في مثاله عن اللغة العربية، بينما هناك بعض الأوضاع التي يكون استخدام اللهجة الدنيا، كاللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة ضرورة حتمية؛ وهذا الاختلاف في الوظيفة يحدث في كل المجتمعات وباختلاف أفراد المجتمع، فلا نستطيع استعمال لهجة متدنية في مقام رفيع، فكل مكان أو مناسبة ما علينا أن نستخدم اللهجة المناسبة لها، كالمناسبات الدينية مثلاً نستعمل الشكل اللغوي الأعلى، أما التحدث مع شخص ما في الشارع نستعمل الشكل اللغوي الأدبي كالعامة؛ وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

الشكل اللغوي الأدنى	الشكل اللغوي الأعلى
	١- المناسبات الدينية أو الخطب في المساجد
	٢- الرسائل الشخصية
	٣- الخطب في البرلمان
×	٤- التحدث إلى الأهل والأصدقاء والزملاء
	٥- الشعر
×	٦- الشعر الشعبي
	٧- محاضرات الجامعات

خطاطة لجدول موضع الشكل اللغوي الأعلى والشكل اللغوي الأدنى للاستعمال اللغوي

(1) - ينظر : إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 22

1. المنزلة prestige

الخاصية الثانية من خصائص ازدواجية اللغة هي المنزلة فاللهجة العليا يعتبرها جميع أفراد المجتمع لهجة عالية المستوى، ولا يقارن مستواها بمستوى اللهجة الدنيا، هذا الاحترام العميق أو المقام العالي الذي تتمتع به اللهجة العليا؛ قد يقود بعض أفراد المجتمع إلى إنكار وجود اللهجة الدنيا؛ فتطور اللغة العربية وما بلغته من مكانة رفيعة في وسط أفراد المجتمع أمر طبيعي مثل باقي اللغات الأخرى، فمنزلة العربية الفصحى تجعلها في أعلى المراتب عكس اللهجة العامية والتي تعتبر انحرافاً لغوياً عن الفصحى.

2. التراث الأدبي: literary heritage

في جميع الحالات الدراسية التي ذكرها فرجسون، دائماً ما يتمتع الشكل الأعلى من اللغة بتراث أدبي أكبر من التراث الأدبي الذي تحظى به اللهجة الدنيا؛ إلا أن هناك من أفراد المجتمع من يرى أن التراث الأدبي للهجة الدنيا كالعامة يمثل أدباً حقيقياً كالأدب الشعبي وما يحويه من ألباز وأمثال وحكم ونكت لغ، فهو جدير بالدراسة والتحليل.

3. الاكتساب Acquisition

يقصد بالاكتساب هنا الوسيلة التي يتم عن طريقها اكتساب اللغة كلفة أم، بحيث يرى فرغسون أنه يستخدم البالغون اللهجة العامية أو المحلية (الشكل اللغوي الأدنى) عندما يتحدثون مع أطفالهم، كما أن الأطفال يستخدمون هذا الشكل اللغوي عندما يتحدثون فيما بينهم؛ فالشكل اللغوي الأدنى أو العامية تكتسب سريعاً باعتبارها لغة الحوار اليومي، في حين تصبح الفصحى ثقيلة نوعاً ما عند البعض باعتبارها لغة الحوار داخل المؤسسات التعليمية فقط.

4. الثبات stability

تعتبر ظاهرة ازدواجية اللغة وضعاً لغوياً ثابتاً من الممكن استمراره لمئات الأعوام، وفي بعض الحالات قد يصل عمر هذا الثبات إلى ألف عام، فخاصية الثبات تصف وضع اللغة العربية وصفاً جيداً ولكن هذه الازدواجية لا تلبث أن يستبدل بها بظهور شكل جديد أقل ثباتاً ومعايرة، ويكون وسطاً بين الشكلين اللغويين⁽¹⁾.

(1) - ينظر : إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص39

5. القواعد النحوية: Grammair

عندما نذكر كلمة (القواعد) فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا قواعد اللغة العربية أو النحو، والذي لا يشمل الصرف والتراكيب الصوتية وما إليه (...). ففي مجتمع ازدواجية اللغة يكون هناك اختلاف كبير بين التراكيب النحوية في الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى (...). فالشكل اللغوي الأدنى يفتقر إلى نظام الموافقة بين الأسماء والأفعال التي تتبعها، وهذه الموافقة تكون معدومة تماما في الشكل اللغوي الأدنى، أو قد يكون وجودها على درجة أقل بمراحل من وجودها في الشكل اللغوي الأعلى.

6. التراكيب الصوتية (Phonology)

يؤكد فرغسون أن النظام الصوتي يشكل في الشكلين الأعلى والأدنى يؤلفان وحدة واحدة من وحدات التركيب الصوتي؛ أما الاختلافات الموجودة في الشكل اللغوي الأعلى فإنها تكون إما جزءا من النظام اللغوي، وإما شكلا موازيا لذلك النظام، مع وجود خصائص لكل شكل من الأشكال اللغوية؛ والتي عادة ما تسبب في وجود تداخل أو تضارب بين استخدام الشكلين⁽¹⁾.

ثالثا الآثار اللغوية والاجتماعية للازدواجية اللغوية

تشيع الازدواجية اللغوية في المجتمعات الإنسانية لأسباب متعددة كالاختكاك باللغات الأخرى، وظهور اللهجات، وابتعاد مستعملي اللغة الأم عن موطنهم الأصلي، والعوامل البيئية وسواها فيكون ذلك كله سببا لظهور الازدواجية اللغوية بآثارها المتعددة التي تتجه في الغالب في مسار سلبي على اللغة المعيار/الفصحى وقد رصد بعض الدارسين جملة من الآثار اللغوية والاجتماعية لهذه الظاهرة اللسانية من أهمها⁽²⁾:

أ . تعد الازدواجية اللغوية سببا رئيسا لشيوع ظاهرة الضعف اللغوي العام؛ فالعامية تكتسب قبل الفصحى فترسخ في أذهان المتكلمين القوالب اللغوية والنماذج الذهنية المعرفية الكامنة في الذهن؛ وهو ما يتسبب في اختلاط الأمر على المتعلمين فيتعثرون في إنتاج اللغة وفهمها

ب ينتج عن وجود الازدواجية اللغوية الاضطراب اللغوي والبلبلة في الذهن، إذ تضطر الازدواجية اللغوية بعض المتعلمين في بعض المواقف، تعبيرات تتلمس الفصيحة بصعوبة بالغة وبطريقة مضحكة

(1) -ينظر : إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص39

(2) -ينظر : عبد الرحمان بن محمد القاعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مرجع سابق، ص34

مؤسفة في الوقت نفسه والسامع المدقق لهذه التعبيرات يدرك إلى أي مدى كان صاحبها محاصرا بالعامية المكتسبة وبالفصيحة المتعلمة كما يدرك أثر الحيرة بين اللغتين من خلال هذه التعبيرات في تركيبها وفي نطقها وفي إعرابها هذه التعبيرات في الغالب صيغت حسب إطار العامية المكتسبة، لكن الموقف برغم المتحدث فيتلمس الفصيحة متصنعا دون معرفة واعية بقوانينها فيختلط عليه الأمر فتضطرب العبارة دليلا على اضطراب الذهن وبلبلته

ج. في الازدواجية اللغوية عبء مادي وزمني ونفسي؛ ذلك أننا ننفق في تعلم الفصيحة وتعليمها مدة ووقتا أكثر من المطلوب لو كانت حالنا اللغوية تسير على نحوها السليم، ولنا أن نتصور جسامة الطاقات المهذورة لأوطاننا في تعليم اللغات الوطنية والقومية.

د. تسهم الازدواجية اللغوية في انحصار اللغة العربية وشيوعها في العالم وبين المتكلمين من غير الناطقين بها الراغبين في تعلمها من أبناء الأمم الأخرى؛ وقد لاحظ كثير من الدارسين والمهتمين بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها هذه الظاهرة بالنسبة الذين يوفدون من الدول الإسلامية إلى الدول العربية؛ فالذي يفد إلى مصر يتعلم اللهجة المصرية، والذي يفد على بلاد الخليج يتعلم اللهجة الخليجية وهكذا لأن الراغب في تعلم العربية من الأجانب لا يريد لغة للكتابة والقراءة فحسب، وإنما لغة للتحدث أيضا، لغة يتفاهم بها ويتواصل مع الناس عن طريقها، ويقضي بها حاجاته اليومية. لكن عندنا لغة فصيحة وأخرى عامية بل عاميات فهل يتعلم الفصيحة وهي لا تسير له سوى القراءة والكتابة والتحدث في المواقف الخاصة بها، أما في شؤونه اليومية فإنها لا تسعفه ولا تتجده لأن أهلها لا يتحدثون بها أم يتعلم العامية لكن أي عامية يختار فهي عاميات بعدد مناطق العالم العربي. والغالب أن يصاب راغب العربية الأجنبي بإحباط نفسي وصدود عن تعلم العربية، لأنه إن تعلم الفصيحة عاني في تواصله مع الناس، وإن تعلم دراجة منطقة ما. عاني في تواصله مع أهل المنطقة الأخرى. وعاني في القراءة بالفصيحة والكتابة بها والتواصل بواسطتها في الموافق التي تستدعي استعمالها.

هـ. تحول الازدواجية اللغوية دون الإبداع بشكل عام؛ فاللغة الفصيحة/المعياري هي أداة الإبداع الأولى عند كل الأمم شعرا أم نثرا؛ ولأن المبدع العربي يكون لسانه الأولى هو الدارجة فإن ذلك يقلل من قدراته الإبداعية ومن جودة منتوجه الإبداعي⁽¹⁾

(1) - ينظر : عبد الرحمان بن محمد القاعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مرجع سابق، ص43

رابعاً مفهوم التعدد اللغوي

يعد التعدد اللغوي من أهم الظواهر اللغوية في الدرس اللساني الاجتماعي المعاصر؛ التي ترتبط بها مختلف الظواهر المتعلقة بالاستعمال اللغوي في علاقته بالمجتمع (الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، والتناوب اللغوي .)؛ ولقد أسهمت العديد العوامل في شيوع هذه الظاهرة اللغوية في المجتمعات المعاصرة لعل أهمها على الإطلاق العولمة والتقانة الحديثة، والهجرة والاحتكاك بين الأفراد، إلى جانب العامل الاقتصادي وسواها؛ فكان من ثمارها البارزة في المجال اللساني هو التعدد اللغوي في التفاعل اللغوي الاجتماعي اليومي بين الأفراد كظاهرة فردية أحيانا وكظاهرة مجتمعية في أحيانا أخرى؛ وهو مما لفت انتباه اللساني الاجتماعي "برنار صبولسكي" إذ يقول (تعد الازدواجية و التعددية سواء كانت خاصة بشخص بعينه أو جماعة اجتماعية معينة من أهم المظاهر اللغوية الشاهدة على التنوع اللغوي الجدير بالملاحظة والاهتمام)؛ وقد راح يتحدث في ثانيا كتابه علم الاجتماع اللغوي عن الظاهرة نفسها بمصطلح التعدد اللغوي تارة، والتنوع اللغوي(. تارة أخرى variation) (1).

وقد تعددت التحديدات الاصطلاحية لمصطلح التعدد اللغوي نوجز منها:

- يعرف "فلوريان كولماس" التعدد اللغوي على أنه "استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة بأكثر من لغة" سواء كانت تتعلق بالفرد أو المجتمع أو كتاب (2).

- وقد ورد في المعجم المفصل في علوم اللغة تعريف مصطلح متعدد اللغات بأنه:

- هو الشخص الذي يتكلم أكثر من لغتين

- صفة لمجتمع فيه أكثر من لغتين مستعملتين.

- صفة لكتاب يتضمن نصوصا بأكثر من لغتين (3).

- وقد عرفت اللسانية "جوليت غرمادي" التعدد اللغوي بقولها (إن الثنائية اللغوية أو التعددية اللغوية؛ أي إن استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد) (4).

(1) -برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، مرجع سابق، ص131

(2) -ينظر : فلوريان كولماس. دليل السوسيو لسانيات، مرجع سابق، ص650

(3) -ينظر : محمد التونجي. وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، ط1، 01، 1993، بيروت، ص546

(4) - جوليت غرمادي، اللسانة الاجتماعية، مرجع سابق، ص115

خامسا عوامل نشأة التعددية اللغوية

تسهم في ظهور التعددية اللغوية عوامل اجتماعية إذا تحققت شاعت هذه الظاهرة اللغوية؛ ف من المستحيل فهم التعددية اللغوية للمجتمع بشكل كامل دون فهم شئ من النماذج التاريخية التي أدت إلى وجودها ويمكن تمييز أربعة من هذه النماذج بالرغم من أنها ليست خاصة بنمط واحد دون الآخر؛ وبالإضافة إلى ذلك فإن أي مجتمع لا على التعيين ذي تعددية لغوية محل النقاش يكون في العادة مثالا لأكثر من نموذج من هذه النماذج التاريخية في الوقت نفسه⁽¹⁾:

أ. الهجرة

يمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين رئيسيين، ففي النوع الأول توسع جماعة كبيرة إقليمها بالتحرك إلى مناطق مجاورة مسيطرة في الوقت نفسه على مجموعات اجتماعية ثقافية أصغر كانت موجودة من قبل. وفي آخر المطاف ستعتق بعض الشعوب الأصلية قومية الجماعة الكبيرة وتتمثلها لغويا وثقافيا بدرجات متفاوتة. فالكتلونيون في إسبانيا، والبريتونز في فرنسا مثالان على القوميات غير المتماثلة كليا.

ويحدث النوع الآخر للهجرة؛ عندما ينتقل عدد قليل من الأفراد من جماعة عرقية ما؛ إلى إقليم تسيطر عليه قومية أخرى وبالطبع يصل المهاجرون، وهم يتحدثون لغاتهم الأصلية، وهذا يضيف للتعددية اللغوية للأمة المضيفة؛ وأفضل مثال لهذا النوع من الهجرة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي هاجر إليها صينيون وأوروبيون في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ب. الإمبريالية

الإمبريالية كلمة تحمل الكثير، والأنواع الفرعية التي تندرج تحت الإمبريالية هي: الاستعمار، والضم، والإمبريالية الاقتصادية، وتختلف الإمبريالية عن هجرة الجماعة الكبيرة في الأمور النسبية فقط. ففي العمليات الإمبريالية فالسيطرة تتم بواسطة قلة من الناس ممن ينتمون إلى القومية المسيطرة، والتي تأخذ مكان إقامتها فعليا في المنطقة الجديدة. فالاستعمار والضم نوعان للإمبريالية يختلفان فيما يبدو لي في ما إذا كان على الناس عبور محيط للقيام بهذه المهمة. ولقد أصبح هذان النوعان من الإمبريالية أقل شيوعا بمرور الوقت ومثال الضم هو ابتلاع الاتحاد السوفياتي سابقا

(1) -ينظر : رالف فاسود، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع ، تر إبراهيم بن صالح محمد الفلاي، منشورات جامعة الملك سعود، ط01، 2000، الرياض، السعودية، ص14

لجمهوريةات البلطيق (ليتوانيا، ولاتفيا، واستونيا) بعد الحرب العالمية الثانية. وفي الامبريالية الاقتصادية تأخذ لغة أجنبية طريقها إلى بلد ما دون أن تكون للقومية المصاحبة أي سيطرة سياسية، وجزء من سبب ذلك هي الميزة الاقتصادية المصاحبة لها. ومثال جيد على ذلك هو استخدام الانجليزية في تايلندا، وهو البلد الذي لم يكن مستعمرة لأي بلد يتحدث الانجليزية.

ج. الائتلاف

الائتلاف هو النموذج التاريخي الثالث المساهم في نشأة التعددية اللغوية ويقصد بالائتلاف اتحاد مجموعات عرقية مختلفة، أو قوميات تحت سيطرة سياسية لدولة واحدة، وقد يكون الائتلاف إجباريا أو طوعيا، وحالات الائتلاف الاختياري نادرة، وأفضل مثال له سويسرا، والتي يوجد فيها اتحاد من الدول تسمى الكانتونات، وتوجد في سويسرا أربع لغات لها مكانة رسمية، هي: الألمانية، والفرنسية، والايطالية، والرمانش، بالرغم من عدم وجود متحدثين عدة للرومانش. ويمكن اعتبار بلجيكا مثلا آخر على ذلك فبلجيكا تتكون من مجموعتين لغويتين رئيسيتين، وهما: متحدثو الفرنسية، والوالونز في الجزء الجنوبي من البلاد، والفلميش في الشمال؛ ويتحدث الفليمشون لغة تحمل نفس اسمهم، وهي شبيهة باللغة الهولندية.

د. المناطق الحدودية

يتعلق المنشأ التاريخي الرابع للتعددية اللغوية بالمناطق الحدودية، ونتيجة لذلك نجد في مناطق عديدة قريبة من الحدود بين البلدان مواطنين للدولة الالى ولكنهم أفراد لجماعة ثقافية موجودة في دولة أخرى؛ ومثال هذه الظاهرة، هو وجود متحدثين للفرنسية في شمال شرق الولايات المتحدة، ولكنهم أقرب عرقيا للمواطنين الكنديين في مقاطعة كوبيك وترتبط إحدى التعقيدات المتعلقة بالمناطق الحدودية بغنائم الحرب؛ مثال ذلك الالزاس واللورين؛ فهاتان المنطقتان يسكنهما متحدثون لأشكال من الألمانية والفرنسية، حيث كانت هاتان المنطقتان جزأين من ألماني وفرنسا خلال تاريخهما والآن فإن الالزاس واللورين جزء من فرنسا، إلا أن السكان الذين يتكلمون الألمانية يساهمون في خلق التعددية اللغوية في ذلك البلد⁽¹⁾.

(1) - ينظر : رالف فاسود، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، مرجع سابق، ص18

الدرس التاسع

العوامل الاجتماعية

في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية

أولا مفهوم الاكتساب اللغوي

ثانيا. نظريات الاكتساب اللغوي في المنظور اللغوي الاجتماعي

ثالثا. العوامل الاجتماعية في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية

أولا مفهوم الاكتساب اللغوي

تعد عملية اكتساب اللغة Language acquisition (*) من أهم الظواهر التي اهتمت بها اللسانيات التطبيقية؛ في حقولها المختلفة؛ ومن ذلك اللسانيات النفسية التي جعلت من الاكتساب اللغوي أحد موضوعاتها الأساسية في إنتاج اللغة وفهمها، وتحليل النمو اللغوي النفسي عند الطفل؛ أما اللسانيات الاجتماعية فهي تعتبر الاكتساب اللغوي أساسا متينا لتحقيق عملية التفاعل اللغوي الاجتماعي للإنسان مع بيئته؛ أي حصول الكفاية التواصلية (communicative competence) لدى الإنسان في سعيه إلى التواصل مع جماعته اللغوية لممارسة مختلف مناشطه الاجتماعية اليومية، ويعتبر إنجاز هذه العملية مقياس طبيعي لقدرة المرء على التجاوب مع محيطه الاجتماعي، وهي لا ترتبط بمرحلة عمرية محددة؛ فالأكتساب اللغوي بقدر ما يعنى بالدرجة الأولى للأطفال في مراحلهم الأولى في نموهم اللغوي؛ وهم يكتسبون لغتهم الأم، بقدر ما يخص الكبار؛ وهم يقدمون على اكتساب اللغة الثانية؛ لأي سبب من الأسباب الاجتماعية (التعلم، الهجرة، العمل..).

إن الاهتمام بقضية اكتساب اللسان (***) اهتمام قديم؛ ولقد كان مرتبطا خلال زمن طويل بالمناقشات حول أصل الإنسان واللغات، وخبر هيرودوت في الكتاب الثاني من "Histoires" كيف أن الملك بسميتيشيس قد شرع في تربية مولودين جديدين خارج كل محيط لساني، وذلك على أمل أن تصنع كلمتهما الأولى برهان الطبيعة الأصلية للشعب المصري. وحلت منذ القرن التاسع عشر، ملاحظات دقيقة لسان الطفلي محل الأساطير والتأملات حول أصل اللسان. ولقد كان لدى داروين من قبل مذكرات يومية دقيقة عن التطور اللغوي لأحد أبنائه. كما نشر "ليستيرن" عن الألمانية، و"غرغوار" عن الفرنسية، و"ليوبولد" عن الانكليزية دراسات تستند إلى الإنتاج اللساني لأبنائهم بالذات. ولكن نهاية السنوات الخمسين هي التي تسجل تحولا في دراسة اكتساب اللسان. وإنها لثورة تتمثل في ظهور أدوات نظرية جديدة ومنهجية (1).

(*) - جاء في تعريف الاكتساب لغة كسبه يكسبه، كسبا وتكسبا، اكتسب، طلب الرزق أو كسب أصاب، واكتسب؛ تصرف واجتهد، وكسبه؛ جمعه للتوسع ينظر الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب الحديثة، ط1، 2004، القاهرة، ص 157 مادة (كسب).

(**) - ينظر في تعريف الاكتساب اللغوي وتاريخه؛ مادة "Acquisition du Langage" في قاموس اللسانيات لـ جون دييوا: "Dictionnaire de linguistique, jean DUBOIS, Larousse, 2002, paris, France, p12"

(1) - ينظر : أوزوالد ديكر. جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط01، 2007، الدار البيضاء، المغرب، ص456

وقد تعددت التحديدات الاصطلاحية لمفهوم الاكتساب اللغوي ومن أبرزها

- يعرف "حسن شحاتة" في معجمه "المصطلحات التربوية والنفسية" الاكتساب بقوله : (هو زيادة أفكار الفرد أو معلوماته، أو تعلمه أنماط جديدة للاستجابة أو تغيير أنماط استجابة القديمة، كما تعني نمواً في مهارة التعلم أو النضج أو النضج أو كليهما) (1).

- يعرفه مجدي العزيز إبراهيم بقوله (الاكتساب يعتبر جزءاً من عملية التعلم؛ حيث يتم الحصول على المعلومات في أثناءه وتصبح حينئذ الاستجابة جزءاً من الذخيرة السلوكية) (2).

- يقصد باكتساب اللغة العملية غير الشعورية، وغير المقصودة، التي يتم بها تعلم اللغة الأم، ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية، وهو غير واعي بذلك. ودون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال، وهم يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروساً منظمة في قواعد اللغة، وطرائق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم، مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله تعالى، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة وبمستوى رفيع. وينقسم الاكتساب اللغوي بحسب الدارسين إلى قسمين اثنين هما:

1. اكتساب اللغة غير اللفظية: تبدأ مظاهرها الحياة عند الطفل بصيغة الملاذ، وتتطور هذه الصيغة تطوراً سريعاً مع النمو الطفل حتى تصبح معبرة عن بعض رغباته، وتصبح وسيلة من وسائل اتصاله مع أمه ومربيته (3).

إن الطفل العادي يستعمل سبعة أصوات مختلفة متباينة قرب نهاية الشهر الثاني من عمره، ثم يزداد عددها إلى سبعة وعشرين صوتاً حينما يبلغ عمر الطفل بين سن الثانية والنصف

2. اكتساب اللغة اللفظية؛ ويبدأ الكلام عند الطفل العادي حينما يبلغ من العمر خمسة عشر شهراً بالتقريب، فإذا تأخر إلى السنة الثانية فهو في حاجة دراسة خاصة لتشخيص أسباب تأخره (4).

(1) - ينظر : حسين شحاتة، معجم المصطلحات التربوية والنفسية (عربي - انجليزي)، الدار المصرية اللبنانية، ط1 2003، القاهرة، مصر، ص57

(2) - ينظر : مجدي عزيز إبراهيم: موسوعة المعارف، عالم الكتب، ط1، 2006، القاهرة، مصر، ص394.

(3) - Chen ,H,P and Irwin,1964:Infant speech vowel and constant types, journal of speech disorders.

(4) - Mc Charty,j., 1964: Language Development in children.in Carmichael, LA Manual of child Psychology , hal 476-581

ثانياً نظريات الاكتساب اللغوي في المنظور اللغوي الاجتماعي

تعد عملية اكتساب اللغة من القضايا التي نالت اهتمام اللسانيين الاجتماعيين؛ وقد تعددت الآراء التي حاولت تفسير هذه العملية؛ وقد ركز كثير منها على بيان الأثر الاجتماعي الذي يسهم بشكل فاعل في تحقق هذه العملية بصورة ايجابية؛ بحيث يتضح الدور المهم الذي يمكن أن تؤديه معاملة الأسرة في اكتساب اللغة ولا يضاهاه هذا الدور إلا المعلم في حجرة الدرس، في هذا السياق يمكن استعراض بعض النظريات التي يمكن وصفها بالمنظور الاجتماعي في تفسير هذه العملية في المسار التفاعلي للفرد مع بيئته الاجتماعية؛ نوجز منها:

أ. النظرية السلوكية

يرى أصحاب التيار السلوكي كما وضعها « سكينر Skinner »؛ أن السلوك اللغوي كأى سلوك آخر في النهاية نتاج لعملية تدعيم إجرائي. فالأباء أو المحيطون بالطفل بشكل عام يدعمون بعض «اللعب الكلامي» الذي يصدر عن الطفل بأن يبتسموا له أو يحتضنوه أو يصدروا أصواتا تدل على الرضا والسعادة في حين يهملون تماماً بعض الأصوات التي تخرج من فم الطفل في أثناء هذه المرحلة. هذا النوع من التدعيم « الفارق » (أي تدعيم إصدار مقاطع أو ألفاظ معينة دون أخرى) يزيد من احتمال صدور مثل هذه الألفاظ، كما يعمل على اختفاء تلك التي لا تتال تدعيماً⁽¹⁾.

وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه تطوير هذه النظريات بمحاولة تفسير ظاهرة التعليم من خلال ما أسموه بالارتباطات في ما بين أجزاء المثير اللغوي الذي يشكل المدخل اللغوي. إن تكرار هذه العلاقات أو عدمه يقوي أو يضعف السلوك اللغوي. وهكذا فإن التعلم في منظورهم هو انعكاس لمدى قوة الارتباطات بين مكونات المدخل اللغوي (Sampson، 1987).

وينكر أصحاب هذه النظرية وجود كوامن فطرية مهمتها اكتساب اللغة، ولكنهم يقولون بان البيئة والعوامل الخارجية هي التي تشكل السلوك اللغوي للإنسان الذي يولد ولديه استعدادات للتعلم كبقية المخلوقات؛ ويعد أصحاب هذه النظرية اللغة سلوكاً يكتسب كأى سلوك آخر⁽²⁾.

(1) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1986، الكويت، ص107

(2) ينظر عقلة محمود الصمادي، نظريات تعلم اللغة واكتسابها تلميحات لتعلم العربية وتعليمها، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 54، 1998، عمان، الاردن، ص 159 - 194

ب النظرية البيئية

هناك عدد من النظريات المعاصرة التي تقع تحت مظلة النظريات البيئية؛ وهي تحاول تفسير اكتساب اللغة من خلال اعتماد العوامل الخارجية فقط دون اعتبار العمليات العقلية والمعرفية، ومن أشهر هذه النظريات نظرية شومان (Schumann b, 1978, 1975, a) حيث انصرفت هذه النظرية عن دراسة اكتساب اللغة من منظور لغوي تحليلي بحث إلى منظور اجتماعي ونفسي وثقافي، ولفهم هذه النظرية لا بد من توضيح المفاهيم التالية: بجن (Pidgin) كريول (Creole) التكيف الثقافي ببعديه النفسي والاجتماعي (Acculturation). فاللغة عند شومان تتغير عبر الزمان لأنها ديناميكية وليست ستاتيكية (ثابتة) ⁽¹⁾.

إن التركيز على ظاهرة التهجين في اللغة ومقارنتها بمراحل اكتساب اللغة الثانية والتكيف الثقافي مدار نظرية شومان الذي قصد بمصطلح "بجن" Pidgin شكلا لغويا هجيناً بسيطاً في تركيبه ومفرداته؛ تكون في مجتمع غير متجانس العرق واللغة، ويستعمل هذا الشكل اللغوي للتواصل بين أفراد هذا المجتمع كفضاء مصالح تجارية محدودة كالتالي وجدت في جنوب إفريقيا وجنوب السودان وأمريكا الجنوبية. يقابل هذا الشكل اللغوي البسيط Pidgin المراحل الأولى في اكتساب اللغة، حيث تتميز لغة المتعلم في هذه المرحلة بالبساطة في المبنى والمعنى. أما الشكل اللغوي الثاني المسمى كريول Creole فيمثل لغة الجيل الثاني للمتحدثين بال (بجن) Pidgin حيث تصبح لغتهم الأم، ويقابل هذا الشكل المراحل المتأخرة في اكتساب اللغة، حيث تتميز بالتعقيد اللغوي والثراء في المبنى والمعنى ⁽²⁾.

ج. النظرية التفاعلية الرمزية

تدمج هذه النظريات العوامل البيئية الخارجية بالعوامل الفطرية الداخلية ببعض لتفسر اكتساب اللغة وتعلمها؛ إن سبب هذا الدمج يعود إلى تعقيد عملية الاكتساب حيث لا تكفي نظرية واحدة لتفسير اكتساب اللغة. وتختلف النظريات التفاعلية في ما بينها في محاولتها لتفسير عملية الاكتساب، فمثلاً "قفون (Givon, 1979, 1984)" يعتمد النظرية المبنية "Functional -Typological Theory" التصنيفية الوظيفية على دراسة النحو الوظيفي وتغير اللغة تاريخياً، ولكن آخرين مثل "هاتش Hatch, 1978" اعتمدوا على نتائج البحث الاجتماعي والمعرفي، وتحليل الخطاب اللغوي "Discourse Analysis" لتفسير

⁽¹⁾ -ينظر عقلة محمود الصمادي، نظريات تعلم اللغة واكتسابها تضمينات لتعلم العربية وتعليمها، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد: 54، 1998، عمان، الاردن، ص 168

⁽²⁾ -نفسه، ص 169

اكتساب اللغة، بينما اعتمد غيرهم على نتائج دراسات علم النفس اللغوي والمعرفي للتوصل إلى قواعد تفسر اكتساب اللغة Pienemann and Johnston, 1987 أما بخصوص نظرية قفون" Givon فهي تسعى إلى إيجاد إطار نظري يشمل أنواع التغير اللغوي "Change Language" بما فيها اكتساب اللغة. ولهذا الغرض طور منهجاً سماه التحليل النحوي التصنيفي الوظيفي يقوم على خصائص الخطاب اللغوي، وجعل اللغات باختلاف عائلاتها تشكل نمطاً واحداً يمكن تفسير اكتسابه. ويُدعي قفون" Givon أن التغير النحوي يحدث نتيجة مبادئ براجماتية ونفس لغوية تتعلق بإدراك إنتاج الكلام أثناء التواصل بين المتحدثين. وتستمد هذه المبادئ من بنى تحتية تتعلق بالإدراك الإنساني ومعالجة المعلومات. وكذلك يدعي قفون" Givon أن متحدثي اللغة وأنظمتهم اللغوية المكتسبة تتقل وتغير من الخطاب اللغوي البراجماتي إلى نمط نحوي أكثر تعقيداً⁽¹⁾.

ثالثاً العوامل الاجتماعية في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية

اللغة أكبر قوة وجدت للاندماج في المجتمع، ولدى الأطفال كلهم حاجات أساسية مشتركة تتضح معالمها في بعض الأشكال المشتركة للمفردات الأولى. ولكن يتوجب عليهم جميعاً، كي يتواصلوا مع المحيط، أن يتكلموا لغة بيئتهم وأن يمتثلوا لبعض التقاليد الشكلية والاجتماعية التي تفرضها اللغة والثقافة في الآن نفسه. تتشكل مفرداتهم بالتماس مع لغة البالغين، التي تلقن الصغار منذ البداية ليس فقط أشياء العالم التي ينبغي رؤيتها وفهمها، بل أيضاً طريقة قولها، وكيفيات التعبير التي تتيح للطفل أن يكون موضع اعتراف ومفهوماً في الوقت ذاته. لا يتعلم المرء اللغة من ذاته بذاته. مع ذلك، تنتظر الأمهات بصبر كلمات الأطفال الأولى، ولدى غالبيةهن الرغبة في المساعدة أو بالأحرى في تسريع بدايات الكلام عند أطفالهن⁽²⁾.

هذا ما تؤكد الدراسات اللسانية المعاصرة فيما يخص دور البيئة الاجتماعية للطفل في سرعة اكتسابه اللغوي؛ فرغم إجماعهم على وحدة مراحل الاكتساب؛ فهناك من الشواهد ما يؤكد أن المراحل التي يمر بها الطفل في تعلم اللغة واحدة بالنسبة لجميع الأطفال في العالم. وأن السن التي يبدأ فيها الطفل اللعب الكلامي، وكذلك السن التي يكتسب فيها الكلمة الأولى، لا تتغير كثيراً من ثقافة إلى أخرى على وجه العموم؛ ومع ذلك فقد اتضح أن هناك فروقاً بين فئات من الأطفال، يرجع

(1) - ينظر عقلة محمود الصمادي، نظريات تعلم اللغة واكتسابها تضمينات لتعلم العربية وتعليمها، مرجع سابق، ص 172

(2) - ينظر بينيديكت دو بويسون. باردي، كيف يتعلم الطفل الكلام 9، تر: محمد الدنيا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ط01، 2011، دمشق، سوريا، ص 257

بعضها إلى فروق في المعاملة، أو في التكوين البيولوجي بالنسبة لكل من الجنسين، وبعضها الآخر يرجع إلى اختلاف في بعض العوامل البيئية⁽¹⁾:

أ. الفروق بين الجنسين

وجدت فروق في سرعة اكتساب اللغة بين البنين والبنات في صالح البنات. ويختلف العلماء في تفسير هذه الظاهرة. ويبدو أن اختلافهم يرتبط بالخلفية العلمية التي ينتسبون إليها. فعلماء النفس البيولوجيون ينسبون هذه الفروق إلى عوامل بيولوجية، في حين أن علماء النفس الاجتماعيين ينسبونها إلى فروق في الظروف الاجتماعية. ومع ذلك فالظاهرة جديرة بالبحث على أي حال ويحسن أن تتبع البحوث التي جرت فيها.

وجد "تشرى ولويس" أن الأمهات يتحدثن مع بناتهن في سن الثانية أكثر مما يتحدثن مع أبنائهم، وتقوم الأمهات بذلك عن طريق الأسئلة التي توجه من ناحيتين، وعن طريق الإجابة على أسئلة الأطفال، وتكرار الألفاظ التي ينطقون بها، إلى آخر ذلك من أشكال التفاعل اللغوي بين الأم وأطفالها. ولقد استنتج "تشرى ولويس" من ذلك أن أم البنات توفر لبناتها بيئة لغوية أشد ثراء من تلك التي ترفها الأم للبنين. ولكن لما كانت العلاقة ارتباطية، فإن من الصعب أن نستبعد احتمال وجود عامل آخر لتفسير هذه الظاهرة، وهي أن الأطفال من البنات قد يكن أنفسهم أكثر إيجابيا، وأسرع استجابة من البنين، مما يشجع الأم على الاستمرار في الحديث معهم مد أطول. ويؤيد هذا الفرض ما لاحظته لينبرج (وغيره من علماء النفس البيولوجيين من أن المخ عند البنات ينضج في وقت مبكر عنه عند البنين، وخاصة فيما يتعلق بتمركز وظيفة الكلام في الفص المسيطر على هذه الوظيفة. ذلك أن النضج اللحائي في هذه الحالة يساعد على الإسراع في إخراج الأصوات وكذلك على معدل اكتساب اللغة⁽²⁾.

ب. الظروف البيئية

النمو اللغوي، شأنه شأن عملية النمو بشكل عام يحتاج إلى حد أدنى من الظروف البيئية الملائمة، كي يتم بشكل سوى. فما هي إذن الظروف البيئية التي قد تؤثر في النمو اللغوي؟ يروي "هيوز" (1976) حالة بنت في سن الثالثة عشرة والنصف كانت قد أحجزت، وحيل بينها وبين أي تواصل حتى ذلك العمر. فلاحظ أن هذه البنت أصبحت دون لغة إطلاقا. ومعنى ذلك أن الاستعداد البيولوجي وإن

(1) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، مرجع سابق، ص123

(2) ينظر المرجع نفسه، ص 124

كان شرطاً لازماً للنمو اللغوي إلا أنه غير كاف لضمان ذلك النمو في حالة غياب البيئة اللغوية. ولكن إذا توفرت البيئة اللغوية، فهل توجد علاقة بين ما يتوفر فيها كما وكيفا وبين النمو اللغوي عند الطفل؟ بعبارة أخرى هل يتأثر النمو اللغوي عند الطفل بمقدار وكيفية ما يتعرض له من كلام؟ الواقع أن تأثير الظروف البيئية من هذه النواحي هو من التعقيد بناء على الشواهد التي تتوفر لدى العلماء والدراسات التي قاموا بها على أساس المقارنة بين الطبقات والأجناس المختلفة: الطبقة الدنيا في مقابل الطبقة المتوسطة (في إنجلترا). والسود في مقابل البيض في (الولايات المتحدة الأمريكية)؛ وذلك على اعتبار أن البيئة اللغوية في كل طرف من هذا التقابل تختلف عنها في الطرف الآخر مما يعزي عادة إلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي

ويستخلص بعضهم من هذه البحوث أن أبناء الطبقة الوسطى، مثلاً، الذين يتعرضون عن طريق الآباء لعبارات لغوية أشد تهذيباً، وأكثر صقلاً مثل: "أرجوك أن تهدأ حتى أستطيع أن استمع إلى الراديو في مقابل (أخرس)"، يجعلهم ذلك يتعلم؛ أن نظاماً لغوياً أشد تعقيداً، وأرفع ثقافة من ذلك النظام المحدود الذي يكتسبه أبناء الطبقة الدنيا. وأن هذا الفرق يؤدي بدوره إلى زيادة في قدرة الطفل من أبناء الطبقة المتوسطة على القيام بالتواصل اللفظي والنشاط العقلي المعقد. في حين أن ما يتعرض له أبناء الطبقة الدنيا من نظام لغوي محدود يجعلهم أقل قدرة على القيام بالتفكير المجرد. وعزا البعض الثالث الفروق الظاهرية إلى عوامل موقفية ودلل فريق من الباحثين على أن لغة الزنوج التي ينظر إليها عادة على أنها نتيجة للحرمان الطبقي الاجتماعي لا تقل عن اللغة الانجليزية القياسية من حيث خضوعها لنموذج منهجي في القواعد اللغوية؛ وأنها بذلك تعد لغة مختلفة متميزة وليست لغة أقل ثراء أو أشد محدودية.

والذي يبدو إذن هو أن الاختلافات في الظروف البيئية؛ قد تؤدي إلى تأخر اكتساب اللغة فقط عندما يقع الطفل تحت ظروف حرمان شديدة. كأن يحجب عنه التواصل اللغوي كلية مثلاً، أو عندما يعاني من نقص عقلي راجع إلى عوامل تتعلق بالوراثة أو بالتغذية، أو عندما يتعرض الطفل لإصابات تعطل عملية النضج. ولكن إذا ما تعرض الطفل لبيئة لغوية محدودة نسبياً، تتجاوز الظروف السابق ذكرها، فإنه يستطيع أن يستفيد إلى أقصى حد من المادة المتاحة لتوظيف الاستعداد الطبيعي لديه في اكتساب اللغة (1).

(1) -ينظر: محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، مرجع سابق، ص125

الدرس العاش

علم اللهجات

أولاً مفهوم علم اللهجات

ثانياً علم اللهجات في التراث العربي

ثالثاً موضوعات علم اللهجات

رابعاً صلة علم اللهجات باللسانيات الاجتماعية

أولا مفهوم علم اللهجات

تعد اللهجة (*) تنوع لغوي - تاريخي أو اجتماعي يختلف عن اللغة الفصحى التي تكون في ذاتها لهجة مفضلة - اجتماعياً - في النطق، أو في النحو، أو في المفردات (1)، أو هي تنوع لغوي يرتبط بأناس ينتمون إلى منطقة جغرافية معينة، فتكون لهجة إقليمية regional dailect أو ينتمون إلى طبقة اجتماعية معينة، فتكون لهجة اجتماعية social dailect أو sociolect(2)؛ وتسمى عملية انشقاق اللغة الواحدة إلى عدة لهجات بالتشعب اللغوي dailectalization(3).

وعلم اللهجات على ما قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة: هو العلم الذي (يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات)(4). وبوصفه (علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغة أو لغات أخرى)(5).

وعلم اللهجات يقابله في اللغة الأجنبية الاصطلاح "DIALECTOLOGY وهي كما تبدو كلمة مركبة ذات جذور اغريقية؛ مركبة من جانبين -يعني "DIALECTO "ديالكتوس حوار أو الكلام.

- و " LOGY لوجيا أي علم ولذلك فهي علم يهتم بدراسة اللهجات أو كما يعرفه بيتر تروجيل Peter Trudgill على أنه (الدراسة الأكاديمية للهجات وغالبا؛ ما هو مرتبط بالدراسة الصوتية المعجمية للهجات التقليدية الريفية وهو المصدر الأصلي لهذا العلم إلى جانب التوزيع الجغرافي الخاص

(*) - اللهجة في اللغة هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام، أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها، للتوسع ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة لُهَج .

(1) Dictionary of language and linguistics, R.R.k Hartman & fcstork Applied Science Publishers, LTD, london 1973. P. 65

(2) Longman Dictionary of Applied Linguistics, Jack Richards, John Platt, Heidi Webar, Longman, london P.80

(3) ويستخدم العلماء أحيانا مصطلح التنوع اللغوي speech vonety للدلالة على اللغة language، واللهجة dailect، واللهجة الاجتماعية sociolect، واللغة الهجين pidgm، واللغة المولدة creole، ويستخدم كذلك للدلالة على التنوعات المختلفة في اللغة الواحدة كالإنجليزية البريطانية، والإنجليزية الأمريكية، والإنجليزية الاسترالية long man Didiovary of Applied linguistics p.269.

(4) - محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط 01، 1979، القاهرة، مصر، ص 05.

(5) - نفسه، الصفحة نفسها.

اللهجات التقليدية، أما في السنوات الأخيرة فقد اهتم علم اللهجات بالخصائص النحوية مع علم اللهجات الحضري، وعلم اللهجات الاجتماعي إلى جانب التوزيع الاجتماعي للأشكال اللسانية)⁽¹⁾.

ثانيا علم اللهجات في التراث العربي

يبدو علم اللهجات جليا في التراث العربي فيما اشار اليه علماء العربية من مباحث لهجية؛ والدليل على ذلك ما جاء مثلا عند ابن جني (ت 392 هـ) في باب اختلاف اللغات وكلها حجة في قوله اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم؛ ألا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال ما يقبلها القياس ولغة الحجازيين في أعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يأخذ به ويخلد الى مثله وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبيتها لأنها ليست أحق بذلك من رسلتها لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها فأما رد إحداهما بالأخرى فلا أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف) هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين فأما أن تقل إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدا فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا ألا تراك لا تقول مررت بك ولا المال لك قياسا على قول قضاة المال له ومررت به ولا تقول أكرمتكش ولا أكرمتكس قياسا على لغة من قال مررت بكش وعجبت منكس حدثنا أبو بكر محمد الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضع قيس وعجرفة ضبة وتلتة بهراء)⁽²⁾. فمثل هذا القول يعلل بما لا يدع مجالا للشك في ازدهار هذا العلم عند علماء اللغة العربية.

وقد تشكلت لدينا في التراث العربي خزانة عامرة بالمؤلفات مشرقا ومغربا؛ عرف أغلبها بأبحاث لحن العامة؛ حتى تكرر هذا العنوان في أكثر من مؤلف؛ ولتمثيل على الدراسات اللهجية العربية القديمة التي تحدثت عن اللهجة العامية العربية أو الدخيلة والمعربة نذكر:

- ما تلحن به العوام للكسائي، المتوفى سنة (189 هـ 804م)

- البهاء فيما تلحن فيه العامة ليحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء، المتوفى سنة (207 هـ 822م).

⁽¹⁾ - Trudgill. P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press.p20.

⁽²⁾ - ابن جني، الخصائص، عالم الكتب، ط01، 2006، بيروت، لبنان، ص 169.

- ما تلحن فيه العامة لأبي الهيدام كلاب بن حمزة العقيلي الحراني، المتوفى سنة (207هـ = 822م).
- ما تلحن فيه العامة لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، المتوفى سنة (321هـ = 845م).
- استدراك الغلط لأبي بكر الزبيدي.
- الألفاظ التي يتكلم بها في غير مواضعها لابن السكيت
- إصلاح غلط أبي عبيد لابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة (267هـ = 880م).
- الفصحح لثعلب، المتوفى سنة (291هـ = 903م)، وعليه شروح وذيل لعبد اللطيف البغدادي
- الفاخر فيما يلحن فيه العامة لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي اللغوي النحوي صاحب الفراء والكسائي، من علماء أواخر القرن الثالث للهجرة.
- ما تلحن فيه العامة لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، المتوفى سنة (291هـ = 903م).
- التبييه على ما في الفصحح من الغلط لأبي القاسم علي بن حمزة البصري، المتوفى سنة (375هـ = 985م).
- الرد على الزبيدي في لحن العوام لابن هشام.
- ما أخذ على المتبني من اللحن والغلط للقرآن القيرواني، المتوفى سنة (412هـ = 1021م)
- الأمثال العامية البغدادية للقاضي أبي الحسن علي بن الفضل المؤيدي الطالقاني، جمعها سنة (421هـ = 1103م).
- درة الغواص في أوهام الخواص للإمام أبي القاسم الحريري صاحب المقامات، المتوفى (سنة 516هـ = 1122م)
- ما تلحن فيه العامة رسالة لسلامة بن عياض بن أحمد، المتوفى سنة (533هـ = 1138م).
- غلط الضعفاء لابن بري.
- رسالة في أغاليط الزمخشري لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري، المشهور بالوطواط، المتوفى نحو سنة (582هـ = 1186م).

- لحن العامة - لأبي الفرج بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة (958هـ=1201م)
 - لحن العامة - لابن هشام محمد بن أحمد اللّخمي، المتوفى قبل سنة (600هـ =1203م).
 - إصلاح خلل صحاح الجوهريّ لعلّي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن موسى، وزير حلب، المعروف بالقفطي، المتوفى سنة (646هـ =1248م).
 - ما قالته العرب وكثر في أفواه العامة لأحمد بن سعيد بن شاهين بن علي بن ربيعة البصري اللغوي، المعروف بأبي العباس.
 - تثقيف اللسان للقاضي المالكي بن عمر الصقلي، دفن في تونس، من أهل القرن السادس للهجرة.
- نلاحظ من خلال هذه المؤلفات -التي أشرنا إلى بعض ما تردد منها الى حدود القرن السادس- الاهتمام البالغ الذي أولاه الدارسون العرب باللغة العربية، وما تفرع عنها من لهجات في الوطن العربي وبلدان العالم الاسلامي؛ فاعتبروا هذا الانحراف في اللغة العربية المعيار لحن؛ فرصدوا ما لحق اللغة العربية من تنوع في مختلف مستويات نظامها اللغوي؛ صوتا وصرفا وتركيبا ومعجما ودلالة، وفي الدرس اللساني الحديث ظهرت اعمال كثيرة؛ اهتمت بدراسة اللهجات العربية الحديثة مشرقا ومغربا، فعكف الدارسون على رصد الظواهر اللهجية ومدى ارتباطها باللغة العربية الفصحى؛ وعقدت المجامع اللغوية العربية ندوات وملتقيات في موضوع اللهجات العربية، وألف اللغويون العرب كتب في اللهجات وظواهرها المختلفة؛ ولعل من اشهرهم؛ إبراهيم أنيس، وأنيس فريحة، وعبد الواحد وايفي، وفي الجزائر اهتم باللهجات الجزائرية عديد العلماء والكتاب والمؤلفين نذكر منهم؛ محمد بن أبي شنب، ومحمد البشير الابراهيمي، نويوات الاحمدي، عبد المالك مرتاض وغيرهم كثير .

ثالثا موضوعات علم اللهجات

يستخلص مما تقدم عراقة علم اللهجات في التراث اللغوي الانساني؛ ومن ذلك التراث اللغوي العربي حيث تأسس بحث لهجي متخصص في مباحث وفصول ذات موضوعات محددة، لم يبرح علماء العربية تكرر البحث فيها؛ ولعل من أهم الموضوعات التي شاع البحث فيها عند الدارسين العرب قدامى ومحدثين نوجز منها:

1. البحث في أسباب نشأة اللهجات ؛ وقد أرجعها بعضهم إلى أسباب جغرافية، وأسباب اجتماعية أو فردية، وأسباب مهنية، و احتكاك اللغات .

2. البحث في الظواهر اللغوية للهجات؛ وذلك برصد مختلف ظواهر مستويات النظام اللغوي؛ ومن أشهر

ظواهر اللهجات التي تركزت حولها الأبحاث في علم اللهجات؛ الظواهر الصوتية للهجات ومن ذلك اللهجات العربية التي ذكرتها كتب اللغة والنحو والقراءات القرآنية؛ نشير إليها بإيجاز⁽¹⁾:

أ. الاستتطاء هو عبارة عن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، ورويت هذه الظاهرة عن الأزدي وهذيل وقيس وسعد بن بكر والأنصار وأهل اليمن.

ب. التلتلة وهذه الظاهرة عبارة عن كسر حرف المضارعة ، ورويت هذه الظاهرة عن قبيلة بهراء وقيس وتميم وأسد وربيعه وعامة العرب.

ج. الشنشنة وهذه الظاهرة عبارة عن جعل الكاف شينا مطلقا وقد رويت منسوبة إلى اليمن وتغلب.

د. الطمطمانيته وهذه الظاهرة عبارة عن إبدال لام التعريف ميما ورويت عن طيء والأزد وحمير .

هـ. العجعجة وهذه الظاهرة عبارة عن إبدال الياء جيما ورويت عن قضاة

و. العنقنة وهذه الظاهرة عبارة عن إبدال همزة (أن) عينا ورويت عن تميم وقيس وأسد.

ز. الفحفحة وهذه الظاهرة عبارة عن قلب الحاء عينا ورويت عن هذيل .

ح. القطعة وهذه الظاهرة عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه وقد رويت عن طيء .

ط. الكسكسنة وهذه الظاهرة عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف سينا ، أو إتباعها في

الوقف سينا وقد رويت عن قوم من بكر وربيعه ومضر.

ي. الكشكشنة وهذه الظاهرة عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شينا أو إتباعها في الوقف

شينا وقد رويت عن ربيعة ومضر وتميم وبكر⁽²⁾.

3. البحث في اللهجات وعلاقتها بالتنوع الاجتماعي؛ يبحث علم اللهجات في علاقة اللهجات بمستعملها؛

ولذلك مما يرتبط بالبحث في اللهجات العربية البحث في القبائل العربية التي تستعملها وبطونها ومواطن

(1) - ينظر ابراهيم انيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية، د ط، 2003، القاهرة، مصر، ص 73،

(2) - ينظر في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، محمد أحمد خاطر، مرجع سابق، ص 83.

استقرارها وضعنها، وانسابها وما الى ذلك من جوانب تكشف للباحث عن البنية الاجتماعية التي تنتج هذه البنية اللغوية

4. البحث المقارن في اللهجات وعلاقتها ببعضها وباللغات الناشئة عنها، ينهض البحث في علم اللهجات بشكل رئيس على المنهج المقارن في علاقة اللهجات ببعضها بعضا، وفي علاقة اللهجات باللغات الناشئة عنها من حيث التقارب والتباعد بين النظامين اللغويين لهما

رابعا صلة علم اللهجات باللسانيات الاجتماعية

إن اللغة هي الجسر الذي يصل بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل، الرابط بين الأجيال المتعاقبة تاريخيا، وبين الفئات المتباينة ثقافيا، واجتماعيا. تتفاوت باختلاف مستعملها في نفس الحقبة الزمنية ومع مرور الزمن، تأخذ اللغة رحلتها عبر التاريخ، وتتداولها الأجيال جيلاً إثر جيل؛ لتعجز السلائق ويستحيل حينئذ الإمام والاحتفاظ بها بشكل كامل؛ إذ يستلزم من تلك الرحلة حدوث ظواهر لغوية تسمى باللهجات، أيا كان زمنها، على الرغم من استقرار وتحصن كثير من ظواهر اللغة الأم فيها. ومادامت اللغة مختلفة باختلاف المتكلم وسياقها الاجتماعي والحضاري، فهل ستخضع لقانون أو تتحكم فيها حرية الاختيار؟⁽¹⁾.

تبدو لنا العلاقة بين الأصل والفرع -من منظور لساني اجتماعي- (كالعلاقة بين الجد والحفيد فالجد مثلاً، يشعر أنّ لغة الحفيد تتغير، فيسمى هذا التغير خروج عن العرف اللغوي، أو مخالفاً للمعيار ... أما الحفيد فيغلب أنّ يعد هذا الخروج تطوراً وأخذاً بالأسباب، نحو معايشة لمتغيرات العصر على أنّ التقدم والتطور قد يبدو بطيئاً، لكنه، كما يرى أولمان، مختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة)⁽²⁾.

ويجب التأكيد أخيراً ما تحمله كثير من الدراسات اللسانية المعاصرة من الدعوة إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن الفصحى - لأسباب داخلية وأخرى خارجية - بكلّ تحقيقاتها، وفي جميع تجلياتها، التي هي بحاجة ملحة اليوم إلى أن تكون خاضعة للدراسة، قد تتفق هذه الدراسة مع بعض الدراسات القديمة أو لا تتفق، المهم إخضاعها للدراسة والوصف وفق مناهج جديدة قد تختلف كلية أو

(1) - ينظر مكانة اللهجات المحكية في علم اللغة الحديث (قراءة في كتب علم اللغة العربية وما في حكمها)، بحث ماجستير، إغ فيصل بن عبد الله بن علي الصقبي، إش سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، الرياض، 1437هـ، السعودية، ص 77

(2) - ينظر المرجع نفسه، ص 78

جزئياً عن المناهج النحوية القديمة، وذلك بتطبيق آليات جديدة والقيام بإجراءات حديثة. ودراسة لهجة من اللهجات ليس عيباً يجب أن نحترز منه تحت طائلة فكر ما، وإنما هي ضرورة علمية ومعرفية تملئها متطلبات العلم على غرار باقي الجماعات العالمية⁽¹⁾

ولعلّ هذه المناهج الحديثة قادرة على تمكيننا من إعادة قراءة واقعنا اللساني الذي سمته الغالبة الميل إلى الخفة؛ ونشوء اللهجة - كما نعلم - وشيوعها ما هو إلاّ مظهر من مظاهر الميل إلى الخفة واليسر، ونستطيع أن نعمم القول بأنّ اللهجة في جريانها تسيّر من الصّعب إلى السّهل، ومن الخشن إلى النّاعم، ومن المعقّد إلى الميسّر، ومن الزخرف إلى البسيط. وبالاعتماد على ما سبق، يمكن القول أن الدراسة العلمية للهجات ليست نزوة علمية بل هي من المتطلبات العلمية و الرهانات السوسيو ثقافية التي لا بد من مراعاتها و الاهتمام بها لما تتضمنه من امتزاجات لغوية عبر التاريخ و ما تتميز به من تحديات الهوية و الجغرافيا⁽²⁾؛ وهذا كله مما يؤكد لنا القواسم المشتركة بين اللسانيات الاجتماعية و علم اللهجات درسا و تطبيقا.

(1) - ينظر اللهجة بين الحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمي، أحمد قريش، مجلة إنسانيات، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ع 46، 2009، وهران، الجزائر، ص 49-64

(2) - ينظر المقال نفسه، ص 49-64

الدرس الحادي عشر

اللسانيات الجغرافية

والأطلس اللساني

أولا اللسانيات الجغرافية (المصطلح والوظيفة)

ثانيا موضوع اللسانيات الجغرافية

ثالثا اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي

رابعا الأطلس اللساني مفهومه ونماذجه المعاصرة

أولاً. اللسانيات الجغرافية؛ المصطلح والوظيفة

ظهرت اللسانيات الجغرافية "géographie linguistique"⁽¹⁾ كأحد أنساق الدرس اللغوي التطبيقي المعاصر البارزة؛ وقد كان اللساني فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) (ت1913) سباقاً في الإشارة إلى إبراز أهمية هذا الاتجاه اللساني ومجالاته المعرفية؛ وذلك ما أوضحه بقوله (إن من يباشر مسألة علاقة الظاهرة الألسنية بالمكان يخرج من مجال الألسنية الداخلية، ويدخل في مجال الألسنية الخارجية وإن أول ما يسترعي انتباه من يدرس اللغات إنما هو علاقة اللغة بالمكان، وما يظهر من فروق لغوية بمجرد أن يمر المرء من بلد إلى آخر أو حتى من منطقة إلى أخرى في البلد الواحد ولئن كانت الاختلافات اللغوية الناجمة عن الزمان غالباً ما تغيب عن الملاحظ فإن الاختلافات بين مكان وآخر تبرز مباشرة للعيان وحتى البدائيون (المتوحشون) من الناس يدركونها بفضل اتصالاتهم بقبائل أخرى ذات ألسن متغايرة ومقارنتاهم لغتهم بلغتهم بل إن هذه المقارنة بالذات هي التي تجعل شعباً من الشعوب يتقطن إلى أن له لسان خاصاً). (□).

وقد ورد مصطلح جغرافيا لسانية (géolinguistique)⁽³⁾ كصيغة مختزلة عن الجغرافيا اللسانية أو الجغرافيا اللغوية (linguistique géographie) لتعبر عن دراسة الفروق المحلية أو الإقليمية الخاصة بلغة ما، وهي التي تحدد اختلافات اللغات وفروقاتها في الخرائط الجغرافية⁽⁴⁾. ليستخدم المصطلحان بالتناوب ودون اختلاف عند كثير من الدارسين المعاصرين

وعرفه كل من "اوزالد ديكرُو" و"جان ماري سشافير" في قاموسهما الموسوعي الجديد لعلوم اللسان بكونه العلم الذي يراد به معرفة حدود الظواهر اللغوية سواء أكانت ظواهر صوتية أم ظواهر تتعلق باستعمال الألفاظ، وذلك بوضع مصور لغوي (أطلس لغوي) يبين المناطق اللغوية والجزر اللغوية(□).

(1) - Dictionnaire de linguistique, jean DUBOIS, Larousse, 2002, paris, France, p218.

(2) - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرماي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، دط، 1985 تونس، ص 285.

(3) - On appelle géolinguistique l'étude des variations dans l'utilisation de la langue par des individus ou des groupes sociaux d'origines géographiques différentes. Le mot géolinguistique est ainsi la forme abrégée de GÉOGRAPHIE LINGUISTIQUE Dictionnaire de linguistique, jean DUBOIS, 221.

(4) - ينظر الجودي مردسي، اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، مجلة الأثر، العدد 42، جوان 2015، الجزائر، ص 26.

(5) - ينظر اوزالد ديكرُو، جان ماري سشافير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط01، 2007، الدار البيضاء، المغرب، ص 127.

ثانياً موضوع اللسانيات الجغرافية

وقد تعزز في زماننا الاهتمام بهذا الاتجاه اللساني التطبيقي؛ ولا سيما في الشق المتعلق باللهاجات وتوزيعها وانتشارها، واختلافاتها اللغوية، وفي علاقتها باللغات الإنسانية الفصحى/المعيار، ومما يستتبع ذلك العناية ببناء الأطالس الجغرافية اللغوية، وإنشاء معجمات متنوعة لألفاظ الحياة العامة للمجتمعات الإنسانية؛ لتتعدى وظيفة هذه المعجمات مجرد حصر الألفاظ إلى بيان طبيعة استعمال الألفاظ؛ لتعكس اللغة بذلك الملامح الخاصة للمجموعات البشرية المختلفة

إن عمل الأطالس اللغوية يقوم أساساً على عملية المسح الميداني بعد تحديده جغرافياً، ومن ثم تجمع العينات اللسانية الاستعمالية، ويتم تصنيفها ورسم الخرائط لها. وقد ظهر هذا الضرب من الدراسات عند الغربيين في عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر، حينما عجزوا عن وضع قوانين التغير الصوتي لصيغ منضبطة تمثلت عندهم باللسان الفصيح، فلذلك ذهبوا إلى استقصاء صور التنوع اللهجي المتمثل باللهاجات المحلية لإثبات اطراد القوانين الصوتية، والمقاربة بينها، لذلك انطلق الباحثون يجمعون مادتهم اللغوية من محيطها الجغرافي. ومن هنا ظهرت مثل هذه الدراسات اللغوية التي تَمَثَلَتْ فيما بعد بعمل الأطالس اللغوي(□).

ولعله قد اتضح لنا من المحاضرات السالفة أن اللهجات حبل في تكوينها البنوي وبعدها التداولي الاستعمالي؛ فتجود لدارسها بشتى المعارف الحياتية، وتعطيه رؤية الأفراد والمجتمعات وطريقة تفكيرها؛ وحتى تكون أبحاثنا اللسانية العلمية مسايرة للحركة العالمية، وذات قيمة موضوعية؛ فعليها أن تواكب سيرورة الحركة الاجتماعية فتنتقل التصورات اللغوية الممارسة في ماضي الأفراد وحاضرهم بالبحث التطبيقي الميداني الذي لا يستصغر من الظواهر اللغوية الاجتماعية شيئاً قل شأنها أو علا صيتها في واقع الناس، وهو الدأب الذي لم يسلكه أجدادنا -للأسف الشديد- في أغلب الحالات، فاكتفوا بالرواية الشفوية في رصد الظواهر ونقل تجاربهم ومعارفهم، فضاء جانب كبير من كنوزهم المعرفية، ولم يبق من أرثهم المعنوي إلا النزر اليسير الذي لا يغني كثيراً الدارسين اليوم في أبحاثهم الاجتماعية والإنسانية(□).

(¹) - خالد نعيم الشناوي، الأطالس اللغوي و البحث اللساني عند العرب، مقارنة منهجية، مجلة آداب ذي قار، ع: 03،

مج: 01، أيار 2011، العراق، ص 01 - 13

(²) - ينظر مقالنا ألفاظ الأطعمة والأشربة في الشرق الجزائري في ضوء اللسانيات الجغرافية، مجلة الثقافة الشعبية،

العدد 45، 2019، المنامة البحرين، ص 64.

ويهتم علم اللغة الجغرافي بدراسة عديد الموضوعات من أهمها:

- اللغات المحلية والاقليمية
 - مجالات النفوذ اللغوي
 - لغات السكان الأصليين والمستعمرين، ونفوذهم اللغوي بعد زوال الاستعمار.
 - موضوع اللغات الأولية والثانوية في منطقة معينة،
 - الثنائية والتعددية اللغوية
 - المركز الاجتماعي أو التربوي للغات (لغة رسمية ولغة وطنية، ولغة أدبية وغيرها).
 - اللهجات والمؤثرات فيها
 - التعايش بين اللغات واللهجات (□).
- وتهتم اللسانيات الجغرافية على وجه الخصوص بوضع خرائط لغوية تحدد فيها اللغات واللهجات المنتشرة في بلدان معينة أو أقاليم محددة.

ثالثا اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي

فيما يخص هذا اللون من الدراسة اللغوية في التراث العربي؛ فيذهب بعض الدارسين العرب المعاصرين إلى (أن من يدرس النشأة الأولى للنحو العربي يجد بوضوح أن بذور اللسانيات الجغرافية قد بدأ الأخذ بها منذ أن بدأ الخليل بن أحمد بوضع نظرية العامل على أسس اللغات أو اللهجات التي عدّها نقية آنذاك، وقد تكون البذرة الأخرى لهذا العلم تكمن في الاندماج في مجتمع البصرة والكوفة ثم بغداد بين العرب وغير العرب، وبين الفقهاء والنحاة والمفسرين والفلاسفة والكلاميين من العرب وغيرهم، فتكونت بذلك إحدى أهم الأسس التي أثرت في توجيه الدرس اللغوي وفقا للتفاعل بين العلماء ورغبة كل واحد منهم في التأثير في غيره بحكم تخصصه أما العامل الثالث الذي يعد بمثابة بذرة

(¹) - ينظر ماريو باي أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998م، القاهرة، ص 37.

رئيسة في تكوين هذا العلم فهي المد العربي الإسلامي خارج حدود شبه الجزيرة العربية واعتناق أصحاب الحضارات الأخرى للفكر الإسلامي) (□).

وأُست اللسانيات الجغرافية المجال الرحب للبحث والاساس المنهجي للتقعيد الأصولي النحوي؛ بات هذا الامر جليا و واضحا في نص الفارابي الذي يُعدُّ في نظر بعض الدارسين وثيقةً مهمةً (□)، في تحديد القبائل التي يُستشهدُ بكلامها والتي لا يُستشهدُ بكلامها، قال () كانت قريشُ أجودَ العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وإبانةً عما في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربيةُ وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم قيسٌ وتميمٌ وأسدٌ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اُتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعضُ كنانة وبعضُ الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريِّ قَطُّ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر و القبط، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ولا من بكرٍ لأنهم كانوا مجاورين للقبط والفرس، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت أسننتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب، وكانت صنائع هؤلاء التي يعيشون منها الرعاية والصيد واللصوصية وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدهم توحشاً وأمنعهم جانباً، وأشدهم حميةً، وأحبهم لأن يغلبوا ولا يُغلبوا، وأعسرهم انقياداً للملوك وأجفاهم أخلاقاً وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة) (□).

(¹) - مازن عوض الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مجلة التراث العربي، العدد 104، كانون الأول 2006، دمشق، سوريا، ص 188.

(²) - ينظر خالد نعيم الشناوي، الأطلس اللغوي والبحث اللساني عند العرب، مقاربة منهجية، مجلة الآداب، جامعة ذي قار، ع: 03، مج: 01، أيار 2011، العراق، ص 01- 13

(³) - عبد القادر بن عمر البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1989، القاهرة، ص 187

وقد تأصل علم الجغرافيا عندهم في القرن الرابع الهجري، فظهرت مؤلفات كثيرة تهتم بوصف البلدان مثل كتاب (صورة الأقاليم) لأبي زيد البلخي (ت 322هـ)، وكتابي (صور الأقاليم) و(مسالك الممالك) لإبراهيم الإصطخري الكرخي (ت 957م)، و(موسوعة) (نهاية الأرب في فنون الأدب) للمؤرخ المصري شهاب الدين النويري (ت 733هـ)، و(موسوعة) (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) لأبي العباس القلقشندي (ت 821هـ)، وكتاب المسالك والممالك، وغيرها كثير. وفي رسائل جماعة (إخوان الصفا و(خلان الوفا)، وهي جماعة فلسفية جغرافية، تحدّثوا عن أثر الظواهر المختلفة من حرارة وبرودة وجبال وبحار وبدَاوة في تطوّر اللغة وتغيّرها، وفي الرسالة الخامسة (في الموسيقى)، من رسائلهم اهتموا بدراسة الأصوات والحروف(□).

وفي كتب الرحالة العرب مادة تراثية يمكن الاعتماد عليها في ميدان الجغرافيا اللغوية، منها بحوثهم حول الأماكن وارتباط القبائل بها، وحركة هذه القبائل، فشمس الدين المقدسي (ت 990هـ) في كتابه (حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تناول لغات بلاد العرب والمسلمين، وأمّا محمد بن جبير (ت 614هـ) فتناول في كتابه (الرحلات) قضية الازدواجية اللغوية، ونجد في كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت 627هـ) كل أنواع الجغرافية الفلكية والوصفية واللغوية والتاريخية إضافة إلى علوم أخرى. ونجد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مباحث عدة في وصف خطب الخطباء والبلغاء والأنبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم(□)..

رابعا الاطلس اللساني مفهومه ونماذجه المعاصرة

تشير التحديدات الاصطلاحية المعاصرة لمفهوم الأطلس اللغوي (Atlas linguistique) (*) في المجمل إلى أن الأطلس اللغوي (مجموعة من الخرائط تبيّن التّوزيع الجغرافيّ للأنماط اللغويّة واستخداماتها) (3)؛ إن هذا التحديد الاصطلاحى فيما يشير إليه أربعة أمور أساسية؛ أولها إن التعريف

(1) - ينظر الشارف لطروش، الجغرافيا اللغوية والأطلس اللغوي في التراث العربي، مجلة حوليات التراث، ع: 21، 2021، جامعة مستغانم، الجزائر، ص215

(2) - ينظر الشارف لطروش، الجغرافيا اللغوية والأطلس اللغوي في التراث العربي، مجلة حوليات التراث، ع: 21، 2021، جامعة مستغانم، الجزائر، ص215

(*) - Recueil de cartes géographique faisant apparaitre les variétés dialectales pour telle forme linguistique le plus souvent des unités lexicales. Le terme peut désigner aussi un ensemble de cartes donnant la répartition des langues et dialectes pour une aire géographique donné). *Dictionnaire de Linguistique, Georges Mounin, GUADRIGE/PUF, édition04,2004, paris, France, P44*

(3) - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط01، 2008، القاهرة، مصر، ص101.

يشير إلى مجموعة خرائط؛ هذا الاستخدام لصيغة الجمع بدل الأفراد؛ هو مما يدل على أنه لا يوجد نمط واحد للخريطة بل هي في صورتها العملية مجموعة متنوعة ومتعددة في أشكالها وأهدافها وثانيها أنه يحمل معنى التوزيع الجغرافي للغة؛ دلالة الانتشار للظواهر اللغوية وشيوعها في حيز مكاني معين وثالثها أنه يوظف تركيب الأنماط اللغوية؛ والمراد بشكل أوضح اللغات أو اللهجات المتفرعة عنها؛ وما يرتبط بهما من ظواهر اللسانية تشيع في ذلك الحيز الجغرافي ورابعها أنه يشير إلى تركيب "استخدامات هذه الأنماط اللغوية"؛ والمراد الاستعمال اللغوي الذي قد يختلف عند أبناء الوطن الواحد من منطقة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر

لقد تشكل هذا التصور لمفهوم الأطلس اللغوي في رؤيته الأولى فيما صدر عن اللساني السويسري "فرديناند دي سوسير (ت 1912م)؛ وهو يتبع علاقة الظاهرة الألسنية بالمكان وذلك في قوله إن من يباشر مسألة علاقة الظاهرة الألسنية بالمكان يخرج من مجال الألسنية الداخلية، ويدخل في مجال الألسنية الخارجية وإن أول ما يسترعي انتباه من يدرس اللغات إنما هو تنوعها، وما يظهر من فروق لغوية بمجرد أن يمر المرء من بلد إلى آخر أو حتى من منطقة إلى أخرى في البلد الواحد ولئن كانت الاختلافات اللغوية الناجمة عن الزمان غالبا ما تغيب عن الملاحظ فإن الاختلافات بين مكان وآخر تبرز مباشرة للعيان وحتى البدائيون (المتوحشون) من الناس يدركونها بفضل اتصاليهم بقبائل أخرى ذات ألسن متغايرة ومقارنتاهم لغتهم بلغتهم بل إن هذه المقارنة بالذات هي التي تجعل شعبا من الشعوب يتقطن إلى أن له لسان خاصا. (□).

هذه المقولة إقرار علمي بلا شك في رسم حدود هذا المصطلح وأبعاده العلمية والعملية من جانب؛ وإضفاء للأهمية البالغة التي تكتسيها الخرائط اللغوية في دراسة اللغة وتتبعها ميدانيا، وما يعترها من تحولات في الاستعمال من جانب آخر، ومن شأن هذه الخرائط اللغوية (أن تطلعنا على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة؛ فقوم يجهرون أصواتا، وقوم يهمسونها، وطائفة تنطق الفتحة صريحة، وأخرى تنطقها مماله، ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأول، وأخرى تنبر المقطع الأخير منها. كما يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات، من حيث البنية والمتردفات المختلفة للمعنى الواحد واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية، ومقدار انتشار الكلمات في الأقطار والأقاليم، وغير ذلك؛ مما يتيح لنا معرفة

(¹) - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرماذي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، دط، 1985 تونس، ص 285.

الواقع اللغوي للغة من اللغات، سواء أكانت لغات فصحي أم مشتركة أم خاصة، أم لهجات اجتماعية، أم إقليمية، أم عاميات خاصة (□).

ولقد ازدهر إنشاء الأطالس اللغوية في العصر الحديث، إدراكا من اللسانيين لأهميتها اللسانية في التمثيل للغات واللهجات وانتشارها، ولما يمكن أن تقدمه هذه الخرائط من تدبير للشأن العام؛ وتشير الدراسات بشكل عام إلى وجود نموذجين من الأطالس اللغوية؛ كان لهما فضل السبق في إرساء دعائم هذا النمط من المعرفة اللسانية ألا وهما

أ. الأطالس اللغوي الألماني ظهر على يد "جورج وينكر (Wenker) الذي بدأ العمل فيه سنة 1876م إلا أن عمله هذا لم يتحقق على يده، بل تحقق على يد تلميذه ورد (Wrede) حيث عمل على نشر أطلس لسان ألمانيا، وحسن منهاجه، وظهر تحت اسم (Deutscher sprachetlas) سنة 1926م

ب. الأطالس اللغوي الفرنسي (l'Atlas linguistique de France) يعد اللساني الجغرافي "ج جيلرون Gules Gilliéron" (1854-1926) المؤسس له، وقد ساعده في انجازه رفيقه إدمون (E . Edmont)، وقد ظهر هذا الأطلس سنة (1902)، يقوم هذا الأطلس على مبدأ توزيع الاستبانات وتحليلها وقد تتالت بعد صدورهما أطالس لغوية في إيطاليا وبريطانيا وفنلندا وأمريكا (2).

وبالنسبة للعالم العربي فقد كان للمستشرقين في مطلع القرن الماضي أثرهم في دراسة الواقع اللغوي العربي، وبرز اهتمامهم باللهجات العربية؛ ويشار هنا بالأخص إلى الأطلس اللغوي للمستشرق الألماني "براجشتراسر Bergstruesser" (ت1932)؛ الذي أنجزه حول سوريا وفلسطين في (42) خريطة تفصيلية وخريطة واحدة إجمالية (3).

وتتأى بعد استقلال الشعوب العربية الاهتمام باللغة العربية ولهجاتها المعاصرة وقد حاولت كثير من البلدان وضع أطالس لغوية تشمل خرائط لغوية لهجاتها المحلية؛ غير أن الاستمرار في سيورة هذه المحاولات العلمية الجادة كثيرا ما حالت دونها عوائق معرفية واجتماعية وثقافية وسياسية؛ هذه العوائق فيما أحسب أنه أمكن تجاوزها في عصر المعلوماتية وما أتاحه من صور الانفتاح على الثقافات والشعوب، بل إن الحفاظ على الهوية اللغوية للمجتمع يتطلب تدوين سجلها اللغوي الشائع في

(1) - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، ط03، 1997، القاهرة، مصر، ص 76

(2) - عساكر خليل، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد07، 1953، القاهرة، مصر، ص 95

(3) - لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2008، بيروت، لبنان، ص117

واقع استعمال التخاطب اليومي وحفظه ولا يكون ذلك إلا بالتأسيس لأطالس لسانية مفصلة ومجملية
ترصد مختلف الظواهر اللغوية اللهجية على الصعيد المحلي أو الوطني أو الإقليمي

وقد أبان الأستاذ شتيجر " Steiger " العالم السويسري الذي له بهذا الموضوع عناية خاصة،
عن قيمة الأطلس اللغوي وأهميته للغة العربية بقوله من تقرير له¹ وبالنسبة للغة العربية نقول إن القيام
بعمل أطلس لغوي لها سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية؛ لأنه سيكمل من
غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات
الشعبية العصرية وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي
أصابت اللغة العربية في الأماكن المخلفة التي غزتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية
وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد إنه سيكون
عملاً ثقافياً من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية". وهذا ما
أكد عليه كثير أيضاً الأستاذ يود (Jud) وهو أستاذ سويسري متخصص في اللغات الأوروبية: (من
المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسي أو الإيطالي أو الأسباني إلا إذا عرفت اللغات المحلية
في تلك البلاد، ودرست دراسة عميقة تلك حقيقة خطيرة أصبحت مقررة معروفة)⁽¹⁾، وهو مما يحفز
الهمم لوضع أطلس لغوي لبلادنا، يحفظ ارثها اللغوي؛ وما يستتبع ذلك من الحفاظ على الإرث اللامادي
للمجتمع الجزائري

(1) - عساكر خليل، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد 07، 1953، القاهرة، مصر، ص 95

الدرس الثاني عشر

الانقراض اللغوي والصراع اللغوي

أولا مفهوم الانقراض اللغوي

ثانيا اللغات المهددة بالانقراض في عالمنا المعاصر

ثالثا. موت اللغة وأشهر اللغات الميتة

رابعا. عوامل الصراع اللغوي

أولاً مفهوم الانقراض اللغوي

تحليل التحديدات اللغوية الواردة في معاجم اللغة لمادة الانقراض على معنى رئيس هو؛ الانقطاع والهلاك والإبادة والزوال (*)، ولا يكاد يبتعد المعنى الاصطلاحي كثيراً عن هذه التحديدات اللغوية؛ فالانقراض كمفهوم علمي في المعرفة المعاصرة يرتبط بوجود الكائنات الحية وزوالها؛ فالانقراض مثلاً في علم الأحياء، هو نهاية وجود كائن حي ما أو مجموعة من الكائنات الحية (الأنواع). تُعتبر لحظة موت آخر أفراد النوع هي لحظة الانقراض عموماً، على الرغم أنه من الممكن أن يفقد أفراد هذا النوع القدرة على التكاثر والشفاء قبل تلك اللحظة. ويُعدّ تحديده هذه اللحظة أمراً صعباً نظراً لضخامة النطاق المحتمل لأماكن انتشار هذه الأنواع؛ وينقرض النوع عند موت آخر عضو موجود منه. وبالتالي يصبح الانقراض يقينياً عند انعدام وجود أفراد باقون قادرين على التكاثر وإنشاء جيل جديد. قد ينقرض النوع من الناحية الوظيفية عندما تنجو حفنة من الأفراد فقط، لكنها غير قادرة على التكاثر بسبب سوء الحالة الصحية والعمر، وانتشارها في مساحات متباعدة أو نقص الأفراد من الجنسين (في الأنواع التي تتكاثر عن طريق الاتصال الجنسي) أو لأسباب أخرى⁽¹⁾.

ولا يختلف هذا التحديد العلمي لمفهوم الانقراض عنه في الإطار ال لساني الاجتماعي والثقافي؛ فهو يرتبط بسيرورة الحياة الإنسانية وما يتعلق بأسباب وجودها؛ فهو عبارة وصف حالة ثابتة دائمة أو عارضة في التاريخ الإنساني ومن هذه الأسباب؛ اللغة التي تمثل المؤسسة الاجتماعية البارزة في تحقيق التواصل اليومي بين أفراد المجتمع؛ وزوال هذه المؤسسة الجامعة يعني انقطاع الرابطة واللحمة التي تجمع بين هؤلاء الأفراد؛ وتحقيق مقاصدهم وأغراضهم التواصلية؛ وعلى هذا الأساس يبدو انقراض اللغة نوعاً من الإبادة والهلاك للجماعة اللغوية التي تستعمل تلك اللغة وتتخاطب بها وعليه عرّف اللغويون اللغة المنقرضة بكونها: (تلك اللغة التي يتكلمها أقل من ألف إنسان)⁽²⁾.

(*) - جاء في معجم الوسيط انقَرَضَ الشيءُ: انقطع. وانقَرَضَ القومُ: ذهبوا ولم يبقَ منهم أحدٌ. للتوسع ينظر مادة "قرض" ص 727. وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر: انقرضَ: انقرضَ / انقرضَ عن يَنْقُضُ، انقراضاً، فهو مُنْقَرَضٌ، والمفعول مُنْقَرَضٌ عنه: - انقرضَ سُئلهُ مُطَاوَعِ قَرَضَ: انقطع. انقرضَ القومُ عن آخرهم: ماتوا، هلكوا وبادوا - انقرضت الديناصورات منذ القدم، - سلالات منقرضة، - بعض اللغات عرضة للانقراض. للتوسع ينظر مادة "قرض" ص 1799 (1) - ينظر مادة الانقراض في الموسوعة العالمية الحرة ويكيبيديا تاريخ الاطلاع عليها 05 مارس 2020م من خلال الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(2) - حسيب شحادة، إطلالة على ظاهرة انقراض اللغات ومستقبل العربية، مجمع اللغة العربية، ع 14، 2019، الناصرة، فلسطين، ص 01

ثانيا اللغات المهددة بالانقراض في عالمنا المعاصر

يستخلص مما تقدم أن اللغة إذاً تنقرض حينما يقل استعمالها؛ وينحصر عدد مستخدميها؛ مما يعني حتميا زوالها من الوجود؛ والحق أن الحفاظ على اللغات يعني الحفاظ على الهويات الاجتماعية؛ وما أنتجته على مر العصور من منتجات ثقافية زاخرة بالمعرفة الإنسانية وفي عالمنا المعاصر هناك عدد كبير من اللغات التي بات يتهددها الانقراض اللغوي بفعل ما تمارسه العولمة من فرض وهيمنة لغات محدودة تمتلك أدوات قاهرة ممثلة أساسا في القوى الثلاثة؛ القوة التكنولوجية، وقوة الاقتصاد، والقوة العسكرية

ويرى الباحث العربي يحيى عبد الرؤوف جبر أنه يمكن أن نجمل مثلا المخاطر التي تتعرض لها اللغات المحلية في العالم العربي التي هي في طريق الاندثار أو الانقراض أو مزيد من التوقع والتحوصل للأسباب الآتية:

1. عجزها عن مجارة العربية بما هي لغة الدولة الرسمية، ولغة الإسلام الذي هو دين السواد الأعظم من سكان الوطن العربي.
2. قلة عدد المتكلمين بها قياسا بعدد من حولهم ممن يتكلمون العربية.
3. افتقار هذه اللغات لموروث ثقافي أو حضاري تستند إليه، فجلها إن لم نقل كلها تنتمي إلى أنماط الحياة البدائية.
4. أن كثيرا منها محكي لا يكتب، ولا أبتثية له.
5. أن الناطقين بها يتكلمون العربية ويتقنونها، ولا يجدون فرصة للحديث بها في غير مجالسهم الخاصة وتحديدًا في منازلهم.
6. عدم وجود مؤسسات ترعاها أو وسائل إعلام تتبناها كما حدث مع الأمازيغية أخيرا، إذ تهيأ لها بعض القنوات التلفزيونية، والإذاعية، كما أن هناك جهات عديدة ترعاها، كالمحافظة السامية للأمازيغية في الجزائر والمعهد الملكي للأمازيغية بالمغرب، أضف إلى ذلك أنها أقرت في المغرب والجزائر لغة رسمية ثانية⁽¹⁾.

(1) - ينظر يحيى عبد الرؤوف جبر، اللغات المهددة بالانقراض في الوطن العربي، نشر في الكتاب الذي أصدرته جامعة ميكوب الروسية عن اللغات المهددة بالانقراض في العالم، دط، 2012، ص03

ولم تكن المنظمات الدولية لتغفل عن هذا الوضع اللغوي الذي أمسى يتهدد اللغات الإنسانية؛ ولأجل ذلك ناقش المؤتمر الدولي للغويين (CIPL) في كندا في عام 1992م، موضوع اللغات المهددة بالانقراض، ونتيجة لذلك شكل لجنة اللغات المهددة بالانقراض. كما عقدت اجتماعاً دولياً في عام 1992 في باريس لطرح الموضوع على الصعيد العالمي وبدء العمل. واعتبر الاجتماع مهماً بما يكفي ليخضع لسلطة اليونسكو.

وبتحريض من اللغوي والخبير "ستيفن وورم Stephen Wurma"، قررت اللجنة إنشاء مركز أبحاث، وهو غرفة تبادل المعلومات الدولية للغات المهددة بالانقراض (ICHEL) ونشر كتاب اليونسكو الأحمر للغات المهددة بالانقراض "UNESCO Atlas of the World's Languages in Danger" بناءً على البيانات التي تم جمعها. كان من المقرر أن يبدأ Shigeru Tsuchida مركز الأبحاث. بدأ في عام 1994 في جامعة طوكيو وكان تاساكا تسونودا مديراً لها.

في غضون ذلك، تم بالفعل جمع التقارير الأولية حول اللغات المهددة بالاندثار وتقديمها إلى اليونسكو من قبل خبراء إقليميين في عام 1993م. وتم تسليم هذه التقارير إلى "ICHEL"، الذي أنشأ موقعاً إلكترونيًا للكتاب الأحمر. لا يزال يتم تحديثه بانتظام⁽¹⁾. وقد تم تحديد ما يتهدد اللغات في وقتنا الراهن يرسم تختلف فيه المراحل بحسب الدرجة واللون:

اللون ودرجة الخطر	وضع اللغة	نقل اللغة بين الأجيال
دون خطر	أمنة	اللغة تتحدث بها جميع الأجيال، انتقال اللغة مستمر (هذه اللغات غير مدرجة في الأطلس)
 غير حصين	غير حصين	يتحدث معظم الأطفال اللغة، ولكن قد يقتصر استخدامها على منطقة معينة (مثل البيئة المنزلية)
 من الواضح أنها مهددة بالانقراض	معرضة للخطر بالتأكيد	لم يعد الأطفال يتعلمون اللغة في المنزل كلغتهم الأم
 شديدة الخطورة	في خطر شديد	يتحدث اللغة من قبل الأجداد والجيل الأكبر سناً؛ على الرغم من أن جيل الوالدين يفهم اللغة، إلا أنهم لا يتحدثون بها للأطفال أو مع بعضهم البعض
 المهددة بالانقراض	المهددة بالانقراض	أصغر المتحدثين هم الأجداد وكبار السن، فهم يتحدثون اللغة جزئياً ونادراً
 المنقرضة	ينقرض	لم يعد هناك متحدثون (تم تضمين مثل هذه اللغة في الأطلس، إذا كان من المحتمل أن يكون قد انتهى فقط بعد الخمسينيات)

خطاطة لتصنيف درجة التهديد بالانقراض اللغوي للغات في وقتنا الراهن

(1) - ينظر تقرير عن الكتاب الأحمر للغات المهددة بالانقراض؛ الصادر عن اليونسكو؛ تاريخ الاطلاع عليها 10 مارس 2020م من خلال الرابط:

هناك إذا أزمة لغوية عالمية اليوم شبه خفية تتمثل في أن نصف لغات العالم ستقرض قبل انسلاخ هذا القرن. زد إلى ذلك أن 40% منها في تهديد حقيقي للاندثار لأن عدد الأولاد المتكلمين لتلك اللغات في تناقص كبير، مثال على ذلك، خمسون لغة في كاليفورنيا وبعض اللغات في إندونيسيا. يشار إلى أن المصطلح الأجنبي الذي يصف احتضار اللغة هو moribund المأخوذ من اللاتينية moribundus⁽¹⁾.

نعم تطوّر اللغات المستمر هو أمر حتمي وطبيعي وغالباً ما نجهل كنهه اجتماعياً ونفسياً، بل وبعضها ينقرض أحياناً، فهي بمعنى ما، تشبّه - كما سبق القول - بالكائنات الحية كحيوانات وطيور قد انقرضت كالديناصورات والضفادع أو النباتات إلا أنها في واقع الأمر هي عبارة عن منظومة أنماط في عقل المتكلم وسلوكه ولا وجود لجينات في اللغة. ففي البرازيل وحدها انقرضت قرابة 170 لغة بعد الاحتلال البرتغالي لها في القرن السادس عشر والذي استمر حتى العام 1822، أما في المكسيك فقد بلغ عدد "الوفيات" إلى 113 لغة وبقيت 12 لغة. من هذه الكائنات الحية طائر الدودو، وهو بحجم الإوزة، ينتمي إلى فصيلة الحمام، إلا أنه لا يقوى على الطيران. وهذا الطائر ذو المنقار الكبير والقائمتين المتينتين وفي كل منهما أربع أصابع، كان قد انقرض عام 1681. كان موطنه في جزيرة ماوريتيوس على المحيط الهندي إلى الشرق من جزيرة مدغشقر. وتُستعمل لفظة الدودو، في الإنجليزية بمعنى "الأحمق، المتخلف عن العصر الحاضر، دقة قديمة"⁽²⁾.

ثالثاً موت اللغة وأشهر اللغات الميته

موت اللغة أمر أشد خطورة كما يصفها دافيد كريستال في قوله وتبدو عبارة "موت اللغة" صارخة وقاطعة، وتحمل دلالات وأصداء مماثلة لأي عبارة تحوي تلك الكلمة غير المرغوب فيها. فقولنا إن لغة ما ميته يشبه تماماً القول: إن شخصاً ما ميت؛ لأن اللغات لا وجود لها دون البشر. تموت اللغة عندما لا يتحدثها أحد. ومن الصعب تصور مثل هذا الاحتمال عند الناطقين بلغة هذا الكتاب (الانجليزية) أو أي لغة أخرى حية؛ لكن هذه الحقيقة يمكن توضيحها بسهولة. أنظر إلى هذا المثال الذي تناوله بروس كوبييل Bruce Connell "في صفحات النشرة الإخبارية لمؤسسة المملكة المتحدة للغات المهددة بالانقراض (FEL)، بعنوان "الوفيات"⁽³⁾.

(1) - ينظر حسيب شحادة، إطلاقة على ظاهرة انقراض اللغات ومستقبل العربية، مرجع سابق، ص03

(2) - بالتصرف عن المرجع نفسه، ص04

(3) - دافيد كريستال، موت اللغة، تر فهد بن مسعد اللهبي، منشورات جامعة تبوك، ط01، 2006، السعودية،

ويرى محمود السعران في بقاء اللغات وموتها أن هناك (لغات توصف بأنها "حية" وأخرى توصف بأنها "ميتة"؛ والحق أن هذه الحياة أو الموت نسيان يقاسان باستمرار استعمال هذه اللغات أو بانقطاع دورانها على الألسن؛ إن أية لغة من اللغات هي نظام معين من النظم الاجتماعية، وهي بهذا الاعتبار خاضعة لتطور مشروط بتطور الجماعة التي تتكلمها، وأية لغة باعتبارها نظاما من العلامات التعسفية المتواضع عليها لا يقوم لها وجود إلا إذا استعملتها جماعة من الجماعات⁽¹⁾).

ويرصد دافيد كريستال ما صادفه من احتضار اللغات ففي أثناء العمل الميداني في إقليم مامبيلا Mambila في مقاطعة أداماوا Adamawa في الكامرون، لاحظ عددا من اللغات تحتضر في عام 1995/1994م ... عثر على متحدث واحد بلغة اسمها كاسابي Kasabe إحدى هذه اللغات المحتضرة (يقال لها أيضا "لوو" Luo من الناطقين باللغات المجاورة، كما ورد تقارير السابقة) هذا المتحدث اسمه بوجون Bogon (وهو نفسه لا يعرف أي ناطق بهذه اللغة غيره). وعندما عدت في نوفمبر 1996م إلى منطقة مامبيلا Mambila كان ضمن جدول أعماله أن أجمع بعض المعلومات عن لغة كاساي، لكن بوجون كان قد مات في 5 نوفمبر 1995م وأخذ لغة كاساي معه. وترك وراءه أخته التي يقال: إنها تفهم لغة كاساي لكنها لا تستطيع التحدث بها، كما ترك عددا من الأبناء والأحفاد لا أحد منهم يعرف هذه اللغة⁽²⁾.

وفي صورة أبسط لموت اللغة موت كلماتها؛ وهو ما يوضحه "ستيفن أولمان" إن اللغات الحية تكون عرضة للانقراض؛ حينما تبدأ كلماتها بالاختفاء؛ وهو ما يرصده في اللغة الانجليزية في بريطانيا؛ فكثير من الألفاظ التي كانت مستعملة في زمن شكسبير وفي أعماله لم تعد مستعملة اليوم؛ وأسباب اختفاء الكلمات من الاستعمال كثيرة متعددة فأحيانا يكون الجانب الصوتي؛ أي اللفظ نفسه هو المسؤول عن انقراضها؛ فلقد أوضحت الأطالس اللسانية أن الكلمات الشديدة القصر كثيرا ما تختفي ليحل محلها منافس أكثر أهمية؛ والمألوف أن يكون هذا المنافس كلمة أو كلمات مشتقة من الأصل⁽³⁾.

ومن أشهر ما يساق من الأمثلة على موت اللغات ما يأتي⁽⁴⁾: اللغة اللاتينية؛ وإن كانت اللاتينية لم تمت في الحقيقة إنها لم تمت من الناحية التاريخية، بل أصابها تغيرات عميقة أنتجت أشكالا حديثة

(1) - محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، د.ط، 1963، الإسكندرية، مصر، ص168
(2) - ينظر دافيد كريستال، موت اللغة، تر فهد بن مسعد اللهيبي، منشورات جامعة تبوك، ط1، 2006، السعودية، ص23
(3) - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، د.ط، 1975، القاهرة، ص189
(4) - محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، د.ط، 1963، الإسكندرية، مصر، ص168

لها أبرزها؛ البرتغالية، والقشتالية، ولغة قطلونيا [كتالونيا]، ولغة بروفانس، والفرنسية، والاطالية،
ولغة رومانيا، والاسبانية وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أننا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال
الحديثة اللاتينية بأنها لغات مختلفة

-ومن اللغات التي توقف الناس عن استعمالها اللغة الغالية التي أخذت تزول شيئاً فشيئاً إلى أن حلت
محلها اللاتينية، منها لغة "كورنوال" وهي لغة كلتية الأصل كان يتكلمها أهل الجزر البريطانية إلى
أن حلت محلها اللغة الانجليزية ومن ذلك اللغة القبطية في مصر، والبربرية في أقطار كثيرة من شمال
أفريقيا، فقد حل محل هاتين اللغتين العرب الفاتحين

- واللغة الهندو أوروبية العامة انبثق عنها عدد كبير من اللغات منها ما يعد أصلاً أقرب اللغات كثيرة،
وكذلك الشأن في اللغة السامية العامة وفي اللغة الاسكندنافية العامة التي انبثق عنها الأيسلندية،
والغلة الفورية، والنرويجية، والسويدية، والدانمركية واللغة الجرمانية الغربية العامة ظهر عنها
الانجليزية، والألمانية، والهولندية⁽¹⁾.

ثالثاً الصراع اللغوي

يعد الصراع من المفاهيم البارزة في المعرفة المعاصرة؛ وهو على الصعيد الاجتماعي يعني (حالة
تحدث عند وجود الأفراد في موقف معين يختلفون فيه بالرأي، أو وجهات النظر، أو الحكم على شيء
ما، أو بأنه تنافس مجموعة من الأشخاص معاً على اتخاذ قرار معين، قد يرتبط بهم بشكل شخصي،
أو في شيء مؤثر على أشخاص، أو أشياء تؤدي نتيجة الصراع إلى التأثير عليها تأثيراً واضحاً)⁽²⁾.

ومن التعريفات المشهورة للصراع وصفه بكونه (اختلاف بين طرفين، أو أكثر على فكرة ما
ويسعى كل طرف لتأكيد أنه على حق، ويظل الصراع مستمراً طالما لم يتوصل أي طرف من الأطراف
إلى حل يساهم في التوقف عن الصراع، وقد يكون هذا الحل سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً)⁽³⁾.

إن هذه التحديدات الاصطلاحية العامة لمفهوم الصراع؛ ربما قربت لنا الدلالة المقصودة التي
نتوخاها حينما نربطه بالمجال اللساني؛ فالصراع اللغوي لا يختلف في مدلولاته عن ذلك كثيراً؛ كما

(1) - محمود السمران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، د.ط، 1963، الإسكندرية، مصر، ص168

(2) - ينظر مجد خضر، مفهوم الصراع وطبيعته، نشر بتاريخ: 24 أوت 2016، في موقع: موضوع كوم، اطلع عليه
بتاريخ 05 سبتمبر 2020 من خلال الرابط:
<https://mawdoo3.com>

(3) - ينظر المرجع نفسه

ذهب إلى ذلك اللغوي العربي على عبد الواحد وايفي (ت 1991م) إذ يقول يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعى وراء الغلبة والسيطرة. وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال. فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين فيسارع إلى القضاء على الآخر، مستخدماً في ذلك وسائل القسوة والعنف، ويتعقب فلوله فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره. وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك، ولكنه يمهل الآخر، وينتقص بالتدريج من قوته ونفوذه، ويعمل على خضد شوكته شيئاً فشيئاً حتى يتم له النصر. وأحياناً تتكافأ قواهما أو تكاد، فتظل الحرب بينهما سجلاً، ويظل كل منهما في أثناءها محتفظاً بشخصيته ومميزاته⁽¹⁾.

رابعا طبيعة الصراع اللغوي وعوامله

لا يحدث الاحتكاك بين لغتين متجاورتين دائماً على وتيرة واحدة، في كل الحالات؛ ذلك لأن قوة اللغات ليست واحدة، ومن ثم اختلفت قدرتها على المقاومة، فالألمانية والفرنسية مثلاً، لغتان قويتان تستويان في القوة، وبينهما اختلافات لغوية كبيرة، فإذا ما تعرضتا للمنافسة والاحتكاك، كانت المنافسة بينهما، تكاد تكون محصورة في الميدان الاقتصادي وحده، ذلك أن الانتصار الذي تناله إحدى اللغتين، يكون في ميدان المعاملة، أي في صميم الحياة نفسها، فإذا أتيح للألمانية أن تطرد الفرنسية من بعض القرى السويسرية، أو أتيح للفرنسية أن تطرد الألمانية، كان معنى ذلك أن سكان تلك القرى، كانت بأيديهم أدواتان متساويتان في الصلاحية والقوة، فاختراروا من بينهما أنفعهما لحاجات أعمالهم ولحياتهم اليومية، ويترتب على هذا الحدود اللغوية، بحسب الجهة التي تفد منها العلاقات الاقتصادية؛ فالمصلحة العملية، هي وحدها الحكم في مثل هذه الحالات وهي التي تحكم لهذه اللغة أو لتلك. وقد تبقى اللغتان متجاورتين زمناً طويلاً، وهما في حالة تعادل. وللموقف السياسي أهميته الكبرى كذلك، فإن بعض الشعوب يتمسك بهذه اللغة دون تلك ويرخي لها عمداً عنان التفشي، مدفوعة بعاطفة وطنية، أو محاولة نيل استقلالها، أو نفورا من دولة مجاورة لها. وهذا مشاهد في الأقطار البلقانية، وفي أيرلندا⁽²⁾. ويتجسد الصراع اللغوي في ثلاثة حالات يمكن الإشارة إليها بشكل سريع، وهي:

1. صراع بين لغة وأخرى أجنبية .

2. صراع بين لغة وأخرى داخل لغة واحدة (لهجات).

(1) - على عبد الواحد وايفي، علم اللغة، نهضة مصر، ط9، 09، 2004، الجيزة، مصر، ص81

(2) - ينظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط 02، 1985،

القاهرة، مصر، ص 171

3. صراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحدة . والتاريخ القديم والحديث يشيران إلى شيء من ذلك ⁽¹⁾. والغالب أن الصراع اللغوي ينشأ في هذه الأنواع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان:

-أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله؛ قد يحدث على اثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة ... أن ينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله . فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى نتيجتين؛ فأحيانا تنتصر لغة منهما على الأخرى، فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم أصيلهم ودخيلهم؛ وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى؛ فتعيشان معا جنبا لجنب. وهو حال البلدان العربية التي دخلها الاستعمار الغربي في العصر الحديث؛ حيث حلت لغته محل اللغة العربية وأورثها لأبناء هذه البلدان حتى بعد استقلالها

-وثانيهما أن يتجاوزا شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما الاحتكاك المادي والثقافي واللغوي ⁽²⁾؛ فتقتضيهما المصالح المتبادلة الأخذ بهذه اللغة أو تلك، ودخول في حالة التنافس والاختلاف بينهما تتمثل لنا هذه الحالة في موقف اللغتين: الفرنسية والبريتانية، وهي اللغة الأصلية لمقاطعة "البريتون" Bretagne في غربي فرنسا. فإن المنافسة في هذه الحالة، تدور حول انضمام دائم، لعدد كبير من عناصر إحدى اللغتين إلى الأخرى، حتى ينتهي الحال بأن تفقد إحداهما معالمها اللغوية؛ ذلك أن اللغة الفرنسية، توغلت في كل اللهجات البريتانية، وهكذا تغلبت الفرنسية على البريتانية، وأصبحت لغة مشتركة، بالنسبة للمقاطعة كلها، وإن كانت البريتانية، لا تزال متماسكة في بعض أرجاء المقاطعة، وبخاصة بين بعض الطوائف المعينة، مثل صيادي السردين وعمال الملاحات، وقاطعي الإردواز، وتجار الخيول، وغيرهم ⁽³⁾.

خامسا مراحل الصراع اللغوي ونتائجه

يضع علماء اللغة للصراع اللغوي مراحل، تظهر في كل مرحلة منها عوامل تساعد على انحلال اللغة المقهورة، وتؤدي إلى القضاء عليها: -ففي المرحلة الأولى: تطغى مفردات اللغة المنتصرة، وتحل محل اللغة المقهورة شيئا فشيئا وتكثر هذه الكلمات أو تقل تبعا للمقاومة التي تبديها اللغة المهزومة، فاللغات

(1) - ينظر إبراهيم بن علي الديبان، الصراع اللغوي، بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث: (التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي) المنعقد بتاريخ: 16 - 17 / 1 / 1427هـ، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، مصر، ص04

(2) - ينظر على عبد الواحد واي، علم اللغة، مرجع سابق، ص82

(3) - ينظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 172

البربرية لم تترك في اللغة العربية المنتصرة إلا كلمات قليلة، وكذلك الحال في لغة بلاد الجال، التي تغلبت عليها اللاتينية.

- وفي المرحلة الثانية: تتغير مخارج الأصوات، ويقترب النطق بها، من النطق بأصوات اللغة الجديدة شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على صورة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة المنتصرة، وذلك بأن يتصرف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات، فتتسرب بذلك أصوات اللغة الغالبة إلى اللغة المغلوبة، في طريقة نطقها، ونبرها، ومخارجها، فينطق أهل اللغة المغلوبة ألفاظهم الأصلية، وما انتقل إلى لغتهم من كلمات دخيلة، متخذين نفس المخارج، ونفس الطريقة، التي يسير عليها النطق في اللغة الغالبة؛ وهذه المرحلة تعد أخطر مراحل الصراع اللغوي.

- وفي المرحلة الثالثة: تفرض اللغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللغوية الخاصة بالجمل والتراكيب، وبهذا تزول معالم اللغة المقهورة، وحينئذ تبدأ اللغة المنتصرة، في إحلال أخيلتها واستعاراتها، ومعانيها المجازية، محل الأخيلة والاستعارات والمعاني، للغة القديمة، التي تموت شيئاً فشيئاً. إلا أن النصر لا يتم للغة من اللغات، إلا بعد أمد طويل، قد يصل أحيانا إلى أكثر من أربعة قرون، فالرومان أخضعوا بلاد الجال في القرن الأول الميلادي، ولكن لم تتم الغلبة للغة اللاتينية، إلا في القرن الرابع. من هذا نرى أن الصراع اللغوي، هو وحده الذي يقضي على لغة من اللغات، أو لهجة من اللهجات. ولا يمكن تحديد زمن هذا الصراع تحديدا تاما، إلا إذا نظرنا إلى الظروف، التي تحيط باللغة المقهورة، وإلى مقدار ما فيها من حيوية وقوة مقاومة⁽¹⁾. وقد رصد اللغويون أهم نتائج الصراع اللغوي على الصعيد الاجتماعي والثقافي والحضاري:

1. ضعف الاعتزاز باللغات الوطنية؛ ونحن نعلم ما نتج عن تمكين اللغات الأجنبية في العالم العربي والإسلامي
2. تلاشي الهوية وروح الانتماء الحضاري
3. هجرة العقول وروح الاغتراب في النخب المتعلمة
4. الانقطاع عن ثقافة اللغات الوطنية؛ وما يستتبع ذلك من هجر الثقافات الوطنية وأنماط عيشها وتفكيرها⁽²⁾..

(1) - ينظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص174

(2) - ينظر إبراهيم بن علي الديبان، الصراع اللغوي، مرجع سابق، ص15

الدرس الثالث عشر

موضوعات

اللسانيات الاجتماعية ومجالاتها

في التراث اللغوي العربي

أولا البعد الاجتماعي للغة في التراث العربي

ثانيا اللسانيات الاجتماعية وموضوعاتها في التراث اللغوي العربي

أولا البعد الاجتماعي للغة في التراث العربي

تعد مسألة العلاقة بين اللغة والمجتمع في التراث اللغوي والأدبي العربي مجالاً متميزاً للبحث لم تتل حيزاً معتبراً من الدرس والتحليل؛ ولو انطلقنا من المقاربة اللسانية الاجتماعية المعاصرة في منهجها وموضوعاتها للاحظنا ذلك الامتداد للرؤية اللغوية الاجتماعية التي تشكل الأساس المعرفي المتين للخطاب اللغوي والأدبي الإبداعي فيما أنتجته المخيلة العربية الإسلامية من إبداع شعري وما أثمره العقل العربي الإسلامي من معرفة لسانية.

لقد ارتبط الدرس اللغوي والأدبي العربي في نشأته؛ بإدراك عميق لسيرورة اللغة العربية ونظامها اللساني بحركية المجتمع العربي، وانتشار اللغة العربية خارج الجزيرة مع الفتوحات الإسلامية؛ واللغة كما وصفها إبراهيم السامرائي (ت 2001 م) -رحمه الله- في اتساق مع الحضارة؛ (فالتقدم الحضاري لا بد أن تظهر طبيعته في اللغة، فاللغة الحضارية هي التي سلخت من عمرها أحقاباً طويلة؛ فكانت مرآة لأدب قويم عال، وفكر ثاقب متفاعل وهذا يعني في المنطق اللغوي أن تشتمل على ألفاظ كثيرة شاملة لمدلولات كثيرة؛ تعبر عن حاجات مختلفة عرضت للناس في مختلف العصور وليس أدل على المستوى الحضري للعربية من وفرة الألفاظ الخاصة التي تجاوزت الحاجات اليومية ذلك أن جمهرة من المصطلح العلمي قد توفر في العربية قبل أكثر من ألف سنة إننا نستطيع أن نجرد معجماً لمعارف جمة لا يشتمل إلا على ألفاظ العلوم المختلفة، وهذا خير دليل أن في هذه اللغة طاقة للتعبير عن الحضارة في أدبها وفضائها وعمومها الدقيقة) (1).

فاللغة سلوك وفكر لا يخلوان من التعقيد فهي سلوك من الناحية النفسية يستجيب فيه المرء إلى ما يحفز في بيئته من حوافز، وهي من هنا كانت ظاهرة اجتماعية لأنها تفرض على صاحبها أن يتأثر بغيره من الناس فيتصل بهم ويستجيب لما يراد منه ولعلنا نخرج من ذلك إلى أننا نستطيع أن نلمح أنماطاً عدة في طبيعة اللغة هي:

1. إنها تختلف طبيعة بين الأفراد أنفسهم لما يعرض لهم من عوامل بيئية ونفسية وطبيعية.
2. إنها تختلف طبيعة بين الجماعات وهو ما ندعوه بـ «الللهجات».
3. إنها تختلف بين اللغة الفصيحة المدونة والنمط الدارج مما يدرج على الألسنة (2).

(1) - إبراهيم السامرائي للغة والحضارة، الدار العربية للدراسات والنشر، ط01، 1977، بيروت، لبنان، ص08

(2) - نفسه، ص09

وفي خضم الحديث عن اللسانيات الاجتماعية يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي: هل لاحظ العرب قديما العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع؟ وهل تحدثوا عنها؟

في الواقع إن العرب لمسوا تلك العلاقة وإن لم يدرجوها تحت مصطلح « علم اللغة الاجتماعي »، فعن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ).. فكانت لغته مع زعماء القبائل والنافذين من قومه تغاير لغته مع الأفراد العاديين الذين لا يملكون حظا وافرا من العلم والمعرفة، وكذا بالنسبة إلى الوفود التي كانت تفد عليه مستفسرة عن الدين الجديد⁽¹⁾.

هذا المعطى اللغوي السياقي هو ما عبر عنه أحمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ) في وصف منطلق اللسان عند قريش زمن مجيء الإسلام؛ وذلك في قوله (وإذا نظرت إلى أهل مكة؛ وكلام قريش الذين نزل القرآن بلغتهم، وبعث رسول الله من أرومتهم، وكلام أهل حضرموت، وما جاورها من اليمن، ومخاليف الحجاز؛ علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كأن البادي يرطن بالنسبة إلى الحاضر ويتكلم بلغة غير العربية، وكانت لغة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] التي يتكلم بها على الدوام، ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز إلا أنه أوتي جوامع الكلم، وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية؛ فكان يخاطب أهل نجد، وتهامة، وقبائل اليمن بلغتهم، ويخاطبهم في الكلام الجزل على قدر طبقتهم⁽²⁾).

ثانياً مجالات اللسانيات الاجتماعية وموضوعاتها

1. في الدراسات النحوية

لاحظ الدارسون للتراث اللغوي العربي أن النحاة وفي زمن مبكر من نشأة الدرس النحوي العربي قد أدركوا في تحليلهم النحوي لتراكيب اللغة العربية ضرورة ربط التركيب اللغوي بسياقه الاجتماعي ومكوناته؛ كأحوال المتخاطبين (المتكلم والمخاطب)، وزمن التخاطب، ومقاصد الخطاب .

يرى اللغوي العربي نهاد الموسى إننا في قراءة متأنية « الكتاب » لسيبويه (ت180هـ) (تلقانا فيه أمثلة كثيرة من الجمع بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق وذلك حيث نراه يقف إلى تراكيب

(1) - ينظر إلياس كوراني، اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع، ط 01، 2013، بيروت، لبنان، ص 29

(2) - ينظر أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، قح يوسف علي طويل، دار الفكر، ط 01، 1987، دمشق، سوريا، ج 02، ص 260

مخصوصة فيردّها إلى أنماط لغويّة مقرّرة، وبقدر ما يكون عرض لها من الوجهة اللغوية الخالصة من حذف أو غيره، وفق نظرية العامل ولكنه لا يقف عند ذلك، بل يتسع في تحليل التراكيب؛ إلى وصف المواقف الاجتماعيّة التي تُستعملُ فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلّم، وموضوع الكلام وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانبيّة للتركيب النحويّ، ورسم حُطوط هادية في تعلّم العربيّة تعلّماً يضع كل تركيب موضعه، ويعرف كل تركيب موضعه، ويعرف لكل مقال مقامه) (1).

ومن ذلك جاء في " هذا باب: ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل" وذلك في قوله (وذلك قولك: أتميمياً مرةً وقيسيياً أُخرى. وإنما هذا ألك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل، فقلت: أتميماً مرةً وقيسيياً أُخرى، كأنك قلت: أتحوّل تميمياً مرةً وقيسيياً أُخرى. فأنت في هذه الحال تعمل في تثبين هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلوم وتنقل، وليس يسأله مسترشداً عن أمرٍ هو جاهلٌ به ليفهمه إياه ويُخبره عنه، ولكنه ويخه بذلك وحدثنا بعض العرب، أنّ رجلاً من بني أسدٍ قال يومَ جيلةٍ واستقبله بغيرِ أعورٍ فنطيرَ " منه " ، فقال: يا بني أسد، أعورٌ وذا نابٍ! فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته، ولكنه نبههم، كأنه قال: أنستقبلون أعورَ وذا نابٍ! فالاستقبال في حال تثبيه إياهم كان واقعاً، كما كان التلونُ والتنقلُ عندك ثابتين في الحال الأول، وأراد أن يثبت لهم الأعور ليحذروه... ومثل ذلك قول الشاعر(*) : (من بحر الطويل)

أفي السّلم أعياراً جفَاءً وَغِلْظَةً ❖❖❖ وفي الحَرْبِ أشْبَاهَ النِّسَاءِ العُورِ كِ

أي تنقلون، وتلوتون مرةً كذا ومرةً كذا (2).

وعلى هذا النهج يربط الظاهرة النحوية بسياقها الاجتماعي؛ فنلاحظ كيف يجعل للحركة الإعرابية دلالتها الاجتماعية؛ وقد يوغل "سيبويه في تطبيق نظرية العامل، وتكون الفتحة، عنده إشعاراً بعامل من الفعل "صبرا، شكرا"، وتكون الضمة إشعاراً بعامل من الاسم "صبرا، شكرا" غير أنه لا يقف عند ذلك، ونراه يلمس للفتحة وما يستكن وراءها من دلالات الحدوث في الفعل ويلتمس للضمة وما تشي به من دلالات الثبوت في الاسم تفسيراً في مذهب الاستعمال، وإذا هو لا يرى في كل منها وجهاً

(1) - نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج "سيبويه" في كتابه، انتشارات، 1353هـ، إيران، ص316

(*) البيت لهند بنت عتبة

(2) - سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط03، 1988، القاهرة، مصر، ج01، ص343

في الإعراب متميزا وحسب، بل يرى في كل منها وجها في الاستعمال متميزا، وموقفا اجتماعيا متميزا، في آن معا⁽¹⁾.

قال في تفسير قولهم: "له عِلْمٌ عِلْمُ الْفُقَهَاءِ"، وله رَأْيٌ رَأْيُ الْأَصْلَاءِ. وإنما كان الرفع في هذا الوجه لأنَّ هذه خِصَالٌ تَذَكَّرُهَا فِي الرَّجْلِ، كَالْحِلْمِ، وَالْعِلْمِ، وَالْفَضْلِ، وَلَمْ تَرُدْ أَنْ تُخَيَّرَ بِأَنَّكَ مَرَرْتَ بِرَجُلٍ فِي حَالِ تَعَلُّمٍ وَلَا تَفْهَمُ، أَرَدْتَ أَنْ تَذَكَّرَ الرَّجُلَ بِفَضْلٍ فِيهِ، وَأَنْ تُجْعَلَ ذَلِكَ خِصْلَةً قَدْ اسْتَكْمَلَهَا، كَقَوْلِكَ: لَهُ حَسَبٌ حَسَبُ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَمَا يُشْبِهُهَا صَارَتْ تَحْلِيَةً عِنْدَ النَّاسِ وَعَلَامَاتٍ. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ رُفِعَ الصَّوْتُ وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ فَقُلْتَ: لَهُ عِلْمٌ عِلْمَ الْفُقَهَاءِ، كَأَنَّكَ مَرَرْتَ بِهِ فِي حَالِ تَعَلُّمٍ وَتَفَقُّهٍ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَكْمَلْ أَنْ يُقَالَ: لَهُ عَالِمٌ..."⁽²⁾.

ويفصل ابن السراج (ت316هـ) في الحال التي يكون عليها المخاطب من حيث مدى علمه بالشيء أو جهله به، إذ تحدد هذه الحال للمتكلم الحدود التي سيجيب في إطارها، فيقول في معرض حديثه عن أن خبر المبتدأ قد يكون جواب "ما" و"أي" و"كيف" و"كم" و"أين" و"متى": (يقول القائل الدينار ما هو؟ فتقول حجر، فتجيبه بالجنس، ويقول الدينار أي الحجارة هو؟ فتقول ذهب، فتجيبه بنوع من ذلك الجنس، وهذا إنما يسأل عنه من سمع بالدينار ولم يعرفه ويقول : الدينار كيف هو فتقول : مدور أصفر حسن منقوش ويقول : الدينار كم قيراطا هو فتقول: الدينار عشرون قيراطا)⁽³⁾.

يبدو من هذا التحليل النحوي لابن السراج (ت316هـ) -الذي نهض على الحوار والمحادثة؛ كتعبير مباشر عن اجتماعية اللغة إدراكه أن أساس السلامة اللغوية التي هي غاية التقعيد النحوي؛ يتحدد من طبيعة المتخاطبين ومقاصدهم، وهي الجانب الذي يؤكد عليه الدارسون في المجال اللساني الاجتماعي في وقتنا الراهن .

2. في الدراسات المعجمية

ولعل أولى هذه الإشارات التي تلمح إلى شيء من إحساس اللغويين العرب باجتماعية اللغة تلك الفكرة التي أقام عليها الخليل معجمه "العين"، وهي فكرة التقليل، بدافع الشعور أن أصواتا معينة إذا اجتمعت في لفظ أدت معاني قريبة من بعضها، وإن اختلف ترتيبها في اللفظ، وهو ما سماه ابن جني

(1) - نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج "سيبويه" في كتابه، مرجع سابق، ص318

(2) - سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ص 362

(3) - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط03، 1996، بيروت، لبنان، ص69

فيما بعد "الاشتقاق الأكبر" وكأنه غدا عرفا اجتماعيا بين أبناء اللغة الواحدة إن هذا الصوت مرتبط بهذا المعنى⁽¹⁾.

وإذا نظر الباحث اللساني المعاصر إلى التراث المعجمي العربي لوجد إن منطلقهم في تأليف هذه المعاجم كان أساسه الوجهة الاجتماعية في منهج التأليف، وطريقته في انتقاء الشاهد، وفي اختيار موضوعه؛ وتعد معاجم الموضوعات التي ذاع صيتها خير مثال معبر عن هذا التوجه؛ فأغلب معاجم الموضوعات رسمت طبيعة الحياة الاجتماعية في زمنهم؛ فهذا المعجم يتحدث عن الشاة، وذلك يتحدث عن الخيل، والآخر يتحدث عن الإبل وهكذا. وكان الهدف المرجو هو وضع سجل لغوي اجتماعي على ما يصف الباحثون في اللسانيات الاجتماعية في العصر الحديث

وقد برع الأصمعي (ت 2016هـ) مثلا في معالجة قضايا لغوية اجتماعية رسم من خلالها صورة عن طبيعة الحياة الاجتماعية العربية ومن معاجمه المشهورة الإبل، والأجناس، والأخبية والبيوت، وأسماء الخمر، والأنواء، والأوقاف، والخراج، وخلق الفرس، والخيل، والدارات، والرحل، والسرج واللجام، والشوى، والنعال والترس، والسلاح، والشاة؛ اعتقد أن تناول هذه الموضوعات وجعلها مجالا للبحث المعجمي يكشف عن رؤية عميقة لما نسميه بقضايا الواقع اللغوي في منظورنا المعاصر

3. في الدراسات اللهجية

كانت الدراسات اللهجية في التراث اللغوي العربي منطلقا أساسا لمختلف جوانب الدرس اللغوي العربي مما عرف من التأليف في لغات العرب^(*)؛ ففي مجال التععيد الأصولي النحوي؛ نجد أن رسم حدود الاحتجاج المكانية كان يتحدد عند خريطة لهجية محددة تبين أسماء القبائل وأماكن انتشارها في الجزيرة العربية؛ والتي يؤخذ منها والتي لا يؤخذ عنها وتوجيه ذلك فيما يجوز وما لا يجوز

ولنا أن نعم النظر فيما نقله السيوطي (ت 911هـ) عن الفارابي في نصه المشهور عن القبائل التي يؤخذ عنها؛ يقول (كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وبعينهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر

(1) - ينظر سائدة عمر عبد الله العيص، الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل اللغوي في الخصائص عند ابن جني، مذكرة ماجستير، إشراف محمود جفال الحديد، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص 37
(*) - لم يستخدم في الأغلب في المؤلفات التراثية اللغوية العربية؛ مصطلح اللهجة أو اللهجات بصيغة الجمع، لكن ترد في كثير من المؤلفات اصطلاح "لغات العرب" للتعبير عن اللهجات العربية.

ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لحم، ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاة وغسان وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتداءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم... والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرهما علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب) (1).

فهذا النص الذي يتردد في كتب أصول النحو قديمها وحديثها يعكس الرؤية الاجتماعية للظاهرة اللغوية انطلاقاً من البحث في اللهجات الاجتماعية أو ارتباط اللغة بالتنوع المجتمعي؛ ونجد مثل هذا النظر اللغوي الأقرب إلى التحليل اللساني الاجتماعي في منطلقاته وأساسه ومناهجه؛ فهناك بيان واضح لأسس الأخذ من القبائل، ومن اخذ منها بالجملة ومنها من أخذ من بعضها وهناك تفريق بين البدوي والحضري وغيرها من الأسس المنهجية التي على اللغوي الالتزام بها

4 . في الدراسات اللغوية والأدبية

يعد الكتاب في التراث اللغوي والأدبي العربيين طرفاً فاعلاً في الفكر والثقافة العربية فلقد أسهموا في ارتقاء أساليب الكتابة العربية؛ وفي رسم صورة متكاملة عن الحياة العربية الإسلامية في زمانهم؛ بحكم أنهم كان في موقع اجتماعي يجمع بين طرفين اثنين أساسيين في الحياة العامة؛ فمن جانب هم يعيشون بين الأوساط الاجتماعية بمختلف مستوياتهم المادية، مما مكنهم من أن تكون كتاباتهم سجلاً لغوياً صادقاً عن الحياة العامة ومن جانب آخر بحكم منزلتهم العلمية ومكانتهم العلمية هم في قرب من ذوي السلطان من الملوك والخلفاء والولاة وهو ما دفعهم إلى تدوين كتاباتهم بأساليب منهجية وطرائق معرفية عالية.

(1) - ينظر السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتية، ط2006، دمشق، سوريا، ص47

يكشف النظر العميق اليوم فيما قدمته هذه الفئة في مجال الدرس اللغوي والأدبي عن حس اجتماعي عميق للغة والأدب يكاد يتطابق في مضامينه ومقاصده مع علم اللغة الاجتماعي ذات القالب المصطلحي لمفهوم واحد يعنى به محاولة « اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية) (1)، وكذلك كان دأب كثير من فئة الكتاب وإنتاجهم في التراث اللغوي والأدبي؛

وسنقصر حديثنا هنا على أديب ولغوي واحد ألا وهو أبو عثمان عمرو بن بحر البصري المعروف بالجاحظ (ت255هـ)؛ فيما قدمه من كتابات ظلت تمثل قطب الرحى في الدرس اللغوي والأدبي العربي إلى وقتنا الراهن؛ فقد كانت رؤيته تتساقق بالفعل مع علم اللغة الاجتماعي؛ إذ ركز في كثير من أبحاثه كما يسعى إليها هذا العلم (بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة بوصفه صادر عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ليشمل كل الميادين التي نعثر عليها مع علم الأعراف البشرية (ETHNOLOGIE)، الذي يدرس اللغة لا لذاتها وإنما بوصفها تعبيراً عن سلالة معينة، عن شعب، وعن حضارة) (2).

يرى الجاحظ إن العلاقات الاجتماعية دفعت الإنسان إلى خلق اللغة؛ وكذلك أشار أبو عثمان في غير موضع إلى ضرورة سوق الكلام وفق المقام المناسب، مراعاة لمستوى السامع ومنزلته والمناسبة التي من أجلها يقال الكلام؛ مدحا، وهجاء، ورتاء (3) وفي هذا يقول (ولولا حاجة الناس إلى المعاني وإلى التعاون والترافد لما احتاجوا إلى الأسماء) (4).

كثيرا ما تحدث الجاحظ عن الخواص والعوام، وأشار إلى أساليبهم اللغوية، مقررًا أن (كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم من طبقات) (5) وتأتي له هذا الإقرار بعد معانيته فئات متنوعة من

(1) – هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط01، 1988، عمان، الأردن، ص24.

(2) – نفسه، ص25

(3) – أليس كورني، اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، 2013، بيروت، لبنان، ص30

(4) – الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة اللبابي مصطفى للنشر والتوزيع، ط02، 1966، القاهرة، مصر، ج5، ص201

(5) – الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، د ط، 1991، بيروت، لبنان، ج01، ص144

الناس في مجتمعه ينتمون إلى شرائح اجتماعية متباينة، لكل منها تقاليدها وأعرافها ومستواها اللغوي⁽¹⁾..

وقد رصد الباحث أليس كورني ما استطاع الجاحظ أن يحققه من بحث لغوي اجتماعي في مؤلفاته؛ ومن أهم الموضوعات التي عرض لها هو بيان أصناف اللغات ومستويات استعمالها بحسب التنوع المجتمعي؛ فكل طبقة أو فئة اجتماعية أسلوبها اللغوي وخصائصه اللسانية ولذلك وجدناه قد صنف اللغة إلى ما يأتي :

-لُغَةُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ

-لُغَةُ الْأَعْرَابِ

-لُغَةُ أَهْلِ الْحُكْمِ

-لُغَةُ الْكُتَّابِ وَالْأُدْبَاءِ

-لُغَةُ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ

-لُغَةُ الْأَطِبَّاءِ

-لُغَةُ الشُّعْرَاءِ

-لُغَةُ التَّجَارِ

-لُغَةُ أَصْحَابِ الْمَهَنِ وَالْحِرَفِ

-لُغَةُ الْعَوَامِّ

-لُغَةُ الْجَوَارِي⁽²⁾

والجاحظ في تقسيمه هذا لمستويات الاستعمال اللغوي لا يختلف كثيرا عن ما أرسته نظرية "بازيل برنشتاين" في نظرية الأشكال الطبقيّة للسلوك اللغوي التي لقيت رواجاً كبيراً في الدرس اللساني الاجتماعي المعاصر.

(1) - أليس كورني، اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجاً)، مرجع سابق، ص30

(2) - نفسه، ص71-211

خاتمة

أفضت هذه الدروس التي سعت من خلالها إلى البحث في أحد الفروع البارزة للدرس اللساني التطبيقي؛ وهو اللسانيات الاجتماعية التي لو أوجزنا لقلنا؛ إنها العلم الذي يبحث في علاقة اللغة بالمجتمع؛ أي علاقة النظام اللغوي بالسياق الاجتماعي الذي ينتج فيه، وقد أدى الاهتمام المتزايد بهذا الحقل للغوي في الدرس اللساني المعاصر إلى تنوع مباحثه وموضوعاته، وظهور عدد من النظريات اللغوية؛ التي حاولت تقديم نماذجها التحليلية التفسيرية: رصدًا لظواهر الواقع اللغوي، وتحقيقًا لفهم أعمق لمختلف اللغات الإنسانية وتحليلها. وقد أمكن التوصل إلى عدد من النتائج أوجز منها ما يأتي:

- اللسانيات الاجتماعية أحد الفروع المعاصرة البارزة للسانيات التطبيقية تركز على دراسة الواقع اللغوي، وعلى الوظيفة الاجتماعية للغة؛ أي البحث في مختلف التبدلات الاجتماعية للغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين بها.

- ازدهرت الأبحاث اللسانية الاجتماعية منذ العقد الخامس من القرن الماضي؛ لتغدو مجالًا خصبا للدرس اللساني وتحليله، لاسيما مع ظهور أبحاث لسانيين اجتماعيين مميزين من نحو ما أنجزه؛ لابوف، هايمز، قمبرز، قوفمان، فيشمان، برغسون

- يفرق الدارسون بين نوعين من الموضوعات في اللسانيات الاجتماعية قضايا اللسانيات الاجتماعية الكبرى (macro sociolinguistics) من نحو؛ السياسة اللغوية، التخطيط اللغوي التربوي، التضيد اللغوي. وقضايا اللسانيات الاجتماعية، الصغرى (micro sociolinguistics) يدرس قضايا ترتبط بمستوى أدنى من الأولى؛ من نحو: علاقة اللغة المعيار باللهجة، التبدلات اللغوية في لغة من اللغات...

- تتقاطع اللسانيات الاجتماعية مع معارف إنسانية متعددة؛ كعلم الاجتماع، والتعليمية، والتداولية... بوصف هذا التقاطع تمظهرًا لانفتاح النسق اللساني على مختلف المعارف، وتشكل هذه المسألة في الدرس اللساني الاجتماعي قضية جوهرية في أغلب المؤلفات التي ظهرت خلال العقود الأخيرة؛ ذلك أنها تؤشر على موضوع العلم وحدوده المعرفية ومجالاته.

- ترتبط الأبحاث اللسانية الاجتماعية في منهجها وموضوعاتها بصلات وثيقة مع البحث الانثربولوجي برؤاه الاثنوغرافيا والاثنولوجيا؛ والذي انبثقت في نطاقه كثير من المناهج والنظريات اللسانية الحديثة؛ كالمنهج المقارن، والنظرية السياقية الوظيفية ذات المنطلقات الاجتماعية.

- من أبرز ميادين اللسانيات الاجتماعية ومجالات البحث فيها دراسة التنوع المجتمعي وطبقاته وانعكاسه على اللغة المستعملة ونظامها اللساني؛ وتعد نظرية اللساني الاجتماعي البريطاني "بازيل

برنشتاين من أهم الآراء المعاصرة التي سعت إلى تقديم تفسير التنوع الطبقي في المجتمع وانعكاسه على النظام اللغوي في مختلف مستوياته اللسانية.

- تعد التابوهات اللغوية موضوعاً مهماً في البحث اللساني الاجتماعي لأنها من أهم الظواهر اللغوية في جميع اللغات الإنسانية؛ وتبدو في صورة ألفاظ وتراكيب لغوية غير مقبولة اجتماعياً، أو أنها تخدش الحياء العام، أو تجرح الشعور، أو تنافي الذوق العام، أو تتعارض في مدلولها مع معتقدها الديني أو عرفها الاجتماعي أو سوى ذلك من الموانع... ويتم التخلص منها بأساليب متنوعة من التلطف.

- يمثل البحث في موضوع جنس المُخاطَبِ والمُخاطَبِ (مُذكرًا أو مُؤنثًا) ودره في العملية التخاطبية أحد جوانب الاهتمام البارزة في المقاربة اللغوية التواصلية الاجتماعية؛ ذلك أن اللغة في الاستعمال تختلف باختلاف جنس المستعمل لها.

- كشف البحث اللساني الاجتماعي المعاصر عن ألوان من الدراسة المهمة على الصعيد اللغوي ذات التأثيرات المجتمعية الكبيرة من نحو؛ البحث في التناوب اللغوي، أو الازدواجية والتعددية اللغوية، أو العوامل الاجتماعية في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية، أو البحث علم اللهجات، أو الانقراض اللغوي، أو الصراع اللغوي....

- يمكن أن نخلص في الأخير إلى أن ما تم عرضه من قضايا اللسانيات الاجتماعية في الدرس اللساني كانت له امتداداته في التراث اللغوي العربي وهو ما يدعونا دائماً إلى التأكيد على أهمية العودة إلى معين هذا التراث ومنابعه الزاخرة بالمعرفة الإنسانية الخالدة

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994، الرغاية، الجزائر.

أولا المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط 04، 2004، القاهرة، مصر.
- _____، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية، د ط، 2003، القاهرة، مصر.
- إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 01، 1996، الرياض، السعودية.
- أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، ط 01، 1996، القاهرة، مصر.
- _____، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 01، 2008، القاهرة، مصر
- أبو بكر بن الأنباري، المذكر والمؤنث، تح محمد عبد الخالق عزيمة، منشورات وزارة الأوقاف المصرية، ط 01، 1981، القاهرة، مصر.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 01، 2007، القاهرة، مصر.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، د ط، 1990، القاهرة، مصر.
- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، المذكر والمؤنث، تح حاتم الضامن، دار الفكر، ط 01، 1997، دمشق، سوريا.
- حسين شحاتة، معجم المصطلحات التربوية والنفسية (عربي - انجليزي)، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2003، القاهرة، مصر.
- حسين فهم، قصة الانثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 01، 1986، الكويت.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 07، 1998، القاهرة، مصر.
- ابن جني، الخصائص، عالم الكتب، ط 01، 2006، بيروت، لبنان.
- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 01، 1992، الجزائر.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 01، 2009، الجزائر.
- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، ط 01، 2013، الجزائر.
- الرشيد يوسف محمد عباس، عبقرية اللغة العربية في التعبير عن المحظور اللغوي دراسة لغوية، كتاب المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، المجلس العالمي للغة العربية، بيروت، لبنان.

- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط 02، 1985، القاهرة، مصر.
- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، ط03، 1997، القاهرة، مصر.
- سامي عياد حنا كريم زكي حسام الدين نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة انجليزي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط 01، 1997، بيروت، لبنان.
- سلطان بن ناصر المجبول، مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية، مركز حمد الجاسر الثقافي، ط01، 2008، الرياض، السعودية.
- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط01، 2000، الجزائر.
- عبد الرحمان بن محمد القاعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة فهد الوطنية، ط01، 1997، الرياض، السعودية.
- عبد الكريم بوفرة، علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي 2011-2012م.
- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، ط01، 1995، القاهرة، مصر.
- عصام الدين عبد السلام، محمد إبراهيم أبو زلال، التعبير عن المحذور اللغوي والمحسن اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية، دار النهضة العربية، ط1987، 01، القاهرة، مصر
- عيسى برهومة، اللغة والجنس حضريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق، ط01، 2002، عمان، الأردن.
- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط01، 2004، دمشق، سوريا.
- علي عبد الواحد وايفي، اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، ط04، 1983، جدة، السعودية.
- _____، علم اللغة، نهضة مصر، ط09، 2004، الجيزة، مصر.
- غيدا ضاهر، الذكورة والأنوثة في لبنان دراسة في أوساط طلاب الجامعة، منتدى المعارف، ط01، 2011، بيروت، لبنان.
- الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية، القاهرة، مصر.
- الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب الحديثة، ط1، 2004، القاهرة، مصر.
- كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة: أنثرو- لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط03، 1998، القاهرة، مصر.
- لطيفة عبو، الجنس في اللغة العربية، إعداد الطالبة إشراف عبد الجليل مرتاض، مذكرة ماجستير، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان السنة الجامعية 2000 / 2001، الجزائر.

- محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، د.ط، 1979، القاهرة، مصر.
- محمد ثابت الافندي، الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية الفرنسية وخاصة هالفاكس وسيميان وماري لويس فريه وغيرهم، وكالة الصحافة العربية ناشرون، د.ط، 2019، الجيزة، مصر
- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، ط 01، 1980، بيروت، لبنان.
- محمد التونجي. وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، ط01، 1993، بيروت.
- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، عالم الكتب د.ط.ت، القاهرة، مصر.
- كريم زكى حسام الدين، المحظورات اللغوية، المكتبة الانجلو مصرية، ط01، 1985، القاهرة، مصر.
- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، ط01، 2005، القاهرة، مصر.
- مجموعة من المؤلفين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات -انجليزي فرنسي عربي-، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، 2002، الدار البيضاء، المغرب.
- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الآفاق، ط 01، 2017، الجزائر.
- مجدي عزيز إبراهيم: موسوعة المعارف، عالم الكتب، ط01، 2006، القاهرة، مصر.
- محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1986، الكويت.
- محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط 01، 1979، القاهرة، مصر
- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، د.ط، 1963، الإسكندرية، مصر
- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط01، 1978، الكويت.
- نعمة دهش فرحاني، مقاربات سيسو لسانية، الدار المنهجية، ط01، 2016، عمان، الأردن.
- هايل محمد الطالب، دراسات في اللسانيات التطبيقية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط01، 2017، دمشق، سوريا.

ثانياً المراجع الأجنبي المترجمة إلى العربية

- طوني بينيت. ولورانس غروسبيرغ. وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2010، بيروت، لبنان.
- ادجر.س. بولوم، اللغة والسلوك؛ اللغويات الانثروبولوجية، ضمن الموسوعة اللغوية، تحر ن.ي كولنج، تر محي الدين حميدي عبد الله الحميدان، منشورات جامعة الملك سعود، ط01، 1421هـ، الرياض، السعودية.
- أوزوالد ديكر. جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط01، 2007، الدار البيضاء، المغرب.
- السنندرو دورانتى، الانثربولوجيا الألسنية، تر فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2013، بيروت، لبنان.
- برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: عبد القادر ستقادي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 2010، الجزائر.
- جون سوانن آنا ديوميرت، تيريزا ليليس، راجند مسرثي، معجم اللغويات الاجتماعية، تر فواز العبد الحق، عبد الرحمن أبو ملحم مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، ط01، 2019، الرياض، السعودية.
- د هدرسون علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط01، 1990، بيروت، لبنان.
- رالف فاسود، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، تر إبراهيم بن صالح محمد الفلاي، منشورات جامعة الملك سعود، ط01، 2000، الرياض، السعودية.
- ره روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع227، نوفمبر 1997، الكويت.
- فلوريان كولماس، دليل السوسيو لسانيات، تر خالد الأشهب، ماجدولين النهيي، المنظمة العربية للترجمة، ط2009، 01، بيروت، لبنان.
- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر محمد يحياتن، دار القصة للنشر والتوزيع، ط01، 2006، الجزائر.
- فيليب بلانشي التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار، ط01، 2007، اللاذقية، سوريا.
- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تر خليل أحمد خليل، دار الطليعة، ط01، 1990، دمشق.
- لويس جون كالفي، علم اللغة الاجتماعي، تر محمد يحياتن، دار القصة، ط01، 2006، الجزائر.
- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2008، بيروت، لبنان

- بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، تر محمد كرم الدكالي، أفريقيا الشرق، ط01، 2017، الدار البيضاء، المغرب.
- جون لوينز، اللغة وعلم اللغة، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، ط1987، 01، القاهرة، مصر.
- فيلي سانديرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر خالد محمود جمعة، دار الفكر، ط01، 2003، دمشق، سوريا.
- كلود ليفي سترافوش، مداريات حزينة، تر محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر، ط01، 2003، دمشق، سوريا.
- ساندرين زوفري، اكتساب التداولية من منظور معرّف واجتماعي، تر سعد محمد القحطاني، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط01، 2018، الرياض، السعودية.
- بينيديكت دو بويسون. باردي، كيف يتعلم الطفل الكلام ؟، تر: محمد الدنيا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ط01، 2011، دمشق، سوريا.
- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرماذي، محمد الشاوش، محمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، دط، 1985 تونس.
- ماريو باي أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1998، 8م، القاهرة، مصر.
- دافيد كريستال، موت اللغة، تر فهد بن مسعد اللهيبي، منشورات جامعة تبوك، ط01، 2006، السعودية
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، 1975، القاهرة، مصر.

ثالثا الأطروحات العلمية

- مكانة اللهجات المحكية في علم اللغة الحديث (قراءة في كتب علم اللغة العربية وما في حكمها)، بحث ماجستير، إغ فيصل بن عبد الله بن علي الصقبي، إش سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، الرياض، 1437هـ، السعودية

رابعا المقالات

- حسن خميس الملخ، المحظورات النحوية في اللغة العربية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج:39، ع:02، 2012، عمان، الأردن.
- علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي رؤية نقدية طروحات بازيل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية الرافدين، جامعة الكويت، جانفي 2013.
- عقلة محمود الصمادي، نظريات تعلم اللغة واكتسابها تضمينات لتعلم العربية وتعليمها، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 54، 1998، عمان، الأردن.

- اللهجة بين الحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمي، أحمد قريش، مجلة إنسانيات، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، ع 46، 2009، وهران، الجزائر.
- الجودي مردسي، اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، مجلة الأثر، العدد 42، جوان 2015، الجزائر
- خالد نعيم الشناوي، الأطلس اللغوي و البحث اللساني عند العرب، مقارنة منهجية، مجلة آداب ذي قار، ع 03، مج:01، أيار 2011، العراق
- إبراهيم براهيم، ألفاظ الأطعمة والأشربة في الشرق الجزائري في ضوء اللسانيات الجغرافية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 45، 2019، المنامة البحرين.
- مازن عوض الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مجلة التراث العربي، العدد 104، كانون الأول 2006، دمشق، سوريا.
- الشارف لطرش، الجغرافيا اللغوية والأطلس اللغوي في التراث العربي، مجلة حوليات التراث، ع 21، 2021، جامعة مستغانم، الجزائر
- عساكر خليل، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد 07، 1953، القاهرة، مصر.
- حسيب شحادة، إطلالة على ظاهرة انقراض اللغات ومستقبل العربية، مجمع اللغة العربية، ع 14، 2019، الناصرة، فلسطين.

خامسا المصادر والمراجع الأجنبية

- Jean Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, France.
- Joshua Fishman : The sociology of language, IN. Socité ROWLEY. NEW buyv House. 1972.
- Lyons: Language and linguistics: An Introduction. Cambridge: Cambridge University Press 1981.
- William Labov: The Social Stratification of English in New York City Department Stores, Washington, D.C., Center for Applied Linguistics, 1966.
- Bernstein Basil, 1971, Class, Codes and Control, Londres, Routedge & Kegan Paul (trad. fr : Langage et classes sociales. Codes sociolinguistiques et contrôle social, Paris, Éditions de Minuit, 1975.
- Philippe Blanchet :Le provençal, essai de description sociolinguistique et différentielle, Institut de Linguistique de Louvain, Louvain, Peeters, 1992.
- Fishman, Joshua, A., "the sociology of language" in: Joshua Fishman, Readings in the sociology of language, Mouton & Co. N. V. Publishers, the Hague, Paris, 1972
- Dictionnaire de la linguistique, George Mounin, presse universitaires de France.
- Crystal, D., a Dictionary of Linguistics and Phonetics, (sociolinguistics).
- John J. Gumperz, Dell Hymes, Directions in Sociolinguistics: The Ethnography of Communication Published By: Linguistic Society of America, USA.

فهرس الموضوعات

المحتويات

عنوان الدرس الصفحة

- مقدمة:..... أ، ب، ج
- 07 = الدرس الأول اللسانيات . الاجتماعية المفاهيم والمصطلحات
- 15 = الدرس الثاني التقاطع . المعرفي بين اللسانيات وعلم الاجتماع والعلوم المجاورة
- 24 = الدرس الثالث اللسانيات . الاجتماعية . وعلم الإناسة اللغوي
- 34 = الدرس الرابع اللغة . والطبقية الاجتماعية
- 45 = الدرس الخامس التابوهات اللغوية (المحرمات).....
- 57 = الدرس السادس اللغة . والجنس
- 66 = الدرس السابع . التناوب . اللغوي
- 76 = الدرس الثامن الازدواجية . والتعددية اللغوية
- 86 = الدرس التاسع . العوامل . الاجتماعية في اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية
- 94 = الدرس العاشر . علم . اللهجات
- 102 = الدرس الحادي عشر اللسانيات . الجغرافية
- 111 = الدرس الثاني عشر . الانقراض اللغوي والصراع اللغوي
- 121 = الدرس الثالث عشر موضوعات . اللسانيات الاجتماعية في التراث العربي
- 130 = خاتمة
- 133 = قائمة المصادر والمراجع.....
- 141 = فهرس المحتويات:.....